الإسلام و عجائب المخلوقات:
مملكة الحيوان

آنماري شيمل





لندن ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

الإسلام و عجائب المخلوقات: مملكة الحيوان

آنماري شيمل

منشورات الفرقان: رقم ٨١
سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان: رقم ٥

الإسلام و عجائب المخلوقات: مملكة الحيوان

آنماري شيمل



لندن ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م

منشورات الفرقان: رقم ٨١
سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان: رقم ٥



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Eagle House
High Street
Wimbledon
London SW19 5EF U.K.
Tel: + 44 208 944 1233
Fax: + 44 208 944 1633
E-mail: info@al-furqan.com
http://www.al-furqan.com

ISBN 1 873992 81 5

حقوق الطبع محفوظة، والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي المحاضِرة ولا تعبر بالضرورة عن رأي المؤسسة.

صورة الغلاف: سفينة نوح عليه السلام، لوحة من الهند في عهد السلطان أكبر (القرن ١٧م).

الإسلام و عجائب المخلوقات:
مملكة الحيوان

آنماري شيمل

هل لي أن أضرب ما أحب من الأمثلة،

مثلما اتخذ الله من البعوض مثلا للحياة ؟

هكذا كتب الشاعر الألماني جوته في West-Östlicher Divan أو "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، ديوان شعره الذي استوحاه من الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي (ت٧٩٤ هـ/ ١٣٩١م) ومن الثقافة الإسلامية عامة. يشير جوته إلى الآية الكريمة ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ...﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦).

ينمّ هذا المثال عما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات شتى إلى مكانة الحيوان، الذي يكثر ذكره بأساليب متنوعة. وللحيوان أهميته في التراث الإسلامي، قال الله تعالى ﴿... ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها ﴾... (سورة هود، الآية ٥٦). حيث يتعلم البشر أن كل الكائنات تذكر الله وتقر بقدرته. ولهذا ليس من المستغرب أن يكون للحيوان دور بالغ الأهميّة في كل

جوانب الثقافة الإسلاميّة. وفي حالات كثيرة استوعبت الثقافة الإسلاميّة من العصر الجاهلي أفكارًا وعادات تتعلق بالحيوان بعد أن هذّبتها وارتقت بها.

كل من يعنى بدراسة اللغة العربيّة يعرف أن حيوانات مهمّة مثل الأسد والجواد - بل ما هو أصغر حجما، مثل الهر - لها أسماء كثيرة مختلفة. ونحن نعرف قصّة الأعرابي الذي عثر على هرّة، كائن لم يره من قبل قط، وسعى إلى بيعها في الأسواق كتحفة نادرة. وعندما وجد أن كل من يصادفه يطلق على الهرة اسما مختلفا قرّ في نفسه أنها كنز ثمين، وسرعان ما خاب أمله عندما وجدها لا تساوي مثقال ذرة، وعبر عن خيبته قائلا: "ما أكثر أسماءك وما أقل جدواك!".

لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن أسماء الحيوان كثيرا ما تطلق على أشخاص، مثل كلمة «أسد» التي لها مرادفات كثيرة في اللغة العربية كالليث والغضنفر وغيرهما، وفي الفارسية "شير "وفي التركية " أرسلان"، ولن نورد أسماء حيوانات أخرى. كان من العادات الشائعة لدى البدو أن يطلق على المولود اسم أول شيء تقع عليه العين بعد الولادة مباشرة؛ لذلك نصادف أسماء قد تبدو غريبة، مثل القنفذ وما أشبه، بل نجد في المصادر العربية القديمة أسماء حيوان أدنى شأنا من القنفذ أطلقت على أشخاص. وشاعت أسماء الطيور الضارية، مثل "الصقر" أو "النسر"، ونالت هذه الأسماء بوجه

خاص إعجاب أتراك آسيا الوسطى، على سبيل المثال نصادف أسماء: سنقر وطوغان وتوقان. وقد تستخدم أسماء الحيوان كألقاب: على سبيل المثال إطلاق لقب "أسد الله" على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتُرجم اللقب إلى الفارسية "شير خدا "وإلى غيرها من اللغات. كذلك تطلق على شيوخ الصوفية ألقاب مماثلة، فيعرف عبد القادر الجيلاني بـ"الباز الأشهب"، كما أطلق على لال شهباز قلندر (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، الهندي، لقب "الصقر الأحمر".

يحفل الأدب العربي، كما يحفل الأدب الفارسي، بحكايات لا حصر لها عن الحيوان، ومن بينها: "**كليلة ودمنة**" التي ترجمها عبد الله بن المقفّع (ت ١٤٥هـ/٧٦٢م) إلى العربية في القرن الثامن الميلادي، وشقّت طريقها إلى أوربا في العصور الوسطى. وقد كتبت **كليلة ودمنة** بروايات كثيرة في التراث الإسلامي، وكانت نسخها المخطوطة محلاة دائما بلوحات بديعة. لم تكن **كليلة ودمنة** الكتاب الوحيد الذي يضم حكايات الحيوان، إذ لم يقتصر الاهتمام بحكايات الحيوان على القراء والمؤلفين الذين توفروا على إشباع رغبة القرّاء، بل أبدى الصوفيّة اهتماما كبيرا بالأمر. وفي تلك الفترة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ألّف كاتبان من بلاد فارس حكايات عن الحيوان. أحدهما: "شيخ الإشراق" شهاب الدين يحيى السهروردي، (الذي قتل في حلب عام ٥٨٧هـ /١١٩١م وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، وهو غير عمر السهروردي مؤسس الطريقة السهروردية (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م).

تحكي القصص القصيرة التي كتبها السهروردي بالفارسية عن: الطاووس الذي اختبأ تحت سلة ونسي بيته في حديقة الملك، وعن السحلية التي سجنها خفاش لأنها أرادت أن توقع به أقسى ألوان العقاب، وذلك بطرحه في الخارج في ضوء الشمس الساطعة، وفي ذلك عقاب وأي عقاب للخفاش الذي لا يعيش إلا في ظلمة الليل، بيد أنه مبعث سعادة السحلية التي تغرم بالشمس (وذلك يماثل تماما عجز المنغمسين في ماديات الحياة عن فهم ما في الحياة الروحيّة من جمال). وهناك الكثير من الحكايات الرمزية التي صنفها المتصوفة.

في نفس الفترة تقريبا وفي الشمال الشرقي من إيران كتب فريد الدين العطّار (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) العديد من الأعمال الهامة، من بينها رائعته الشعرية "**منطق الطير**" الذي صوّر مشاهد ممتعة لرحلة الأرواح الطائرة بحثا عن "السيمرغ" الغامض، وتعثر عليه بعد أن تتوه في سبعة أودية. ومن قديم صار الطير رمزا للروح السجينة في الجسد الترابي.

وبينما كانت الحيوانات المفضلة في التراث العربي القديم هي الخيل السريعة، والإبل القوية وصقور الصيد، فإن تحول مركز الحضارة في مطلع الدولة العباسية إلى بغداد، أدى إلى حدوث تطور في الأدب العربي فارتقى شعر الصيد (الطرد) على أيدي شعراء البديع، واستألف الأثرياء الحيوان المتوحش في بيوتهم. فلا عجب أن عرف الشعر في العصر العباسي قصائد في هرة محبوبة أو كلب وفي، وفي الوقت نفسه ظهرت رسائل علمية في

البيطرة وما يتصل به من موضوعات، كما أصبحت كتب البيزرة[1] والزردقة[2] من المقتنيات الهامة في القصور. وتجدر الإشارة إلى أن أفضل ما يصور الرعاية التي أسبغها الخلفاء المسلمون في عصر لاحق على جوارح الصيد في حدائق الحيوان الخاصة بهم في قصورهم، هو ما نجده في حوليات الملوك المغول في الهند بدءًا من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر. كانت الفيلة تستحم بالماء الدافئ بل إن بعضها ينعم باحتساء النبيذ كل يوم.

بدءاً من مطلع القرن التاسع الميلادي شرع المؤلفون العرب في وضع كتب عن الحيوان. أولهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٩م)، الذي جاء كتابه "**الحيوان**" نموذجا لهذا اللون الأدبي، ثم كتب ابن بختيشوع (ت٤٥١هـ/١٠٥٩م) "**منافع الحيوان**"، بينما ركّز زكريا القزويني (ت ٨١٧ هـ/ ١٤٠٥م) على الجوانب الغريبة في عالم الحيوان. وترك لنا العالم المصري محمد بن موسى الدميري (ت ٦٨٢هـ/١٣٨٣م) كنزا ثمينا من المعارف في كتاب "**حياة الحيوان**" بمثابة دائرة معارف يجد فيها القارئ كل ما يبتغيه من علم الأحياء والبيطرة، إلى ما قيل من شعر في الحيوان، أو ما يتعلق بالحيوان من أحكام الشريعة. وربما نتردد طويلا قبل أن ننساق إلى تجربة ما يقدمه لنا من وصفات لعلاج السعال: (عليك بمخ غزال صغير واخلطه بدهن فأر واغل الخليط وأضف إليه عصارة بذور الكمّون...).

---

(١) فن صيد الجوارح، (٢) علم تربية الخيول

اتخذ الفلاسفة من صنوف الحيوان أمثلة يضربونها في شرح نظرياتهم. ولعل أروع كتاب في هذا المجال هو **رسائل إخوان الصفا**، ولاسيما الرسالة الثانية والعشرين في خلق الحيوان وأصنافه، ومنها "فصل في بيان العداوة بين الجن وبني آدم" ولها ترجمة إنجليزية رائعة أعدها لينارد جودمانز (Lennard Goodmann)، وترجمة ألمانية تماثلها في الجودة لإيلما جيز(Alma Giese). إن جوهر هذا الكتاب البديع هو أن الحيوان يتمتع بمواهب وقدرات مذهلة، وأن الإنسان يبدو أضعف من الحيوان، ومع ذلك فإن الإنسان أسمى من الحيوان شأنا، لأنه "الحيوان الناطق" الذي منحه الله نعمة التفكير المنطقي. وأهم من كل ذلك أن اللّه ميّز الإنسان بحمل الأمانة كما جاء في قوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢).

يؤدي الحيوان دورا كبيرا في تفسير الأحلام. فلكل حيوان مدلول خاص في التفسير، لكن القاعدة العامة هي أن الحلم الذي تحدث فيه سيطرة على حيوان عرف بالشراسة أو القذارة يُفسَّر بسيطرة من رأى الحلم على صفاته السيئة.

وليس بمستغرب وجود عدد ضخم من الأمثال التي تتعلق بالحيوان، كثيرة الورود في مواطن عديدة، في الحياة اليومية، وفي الأعمال الأدبية

أيضا. يعبر الشاعر التركي ضيا باشا (ت ١٢٩٧ هـ/ ١٨٨٠م) عن فكرة شائعة قائلا:

هل يمكن للزي الأنيق أن يخلع صفات نبيلة على من ولد وضيعا؟

ألا يظل الحمار حمارا ؟ ولو وضعت على ظهره سرج حرير مطرزا بالذهب!

على النحو نفسه يقول المثل الإنجليزي الشائع:

القرد قرد والخادم خادم

مهما لبسا من حرير أو مخمل

التشبيهات المقترنة بالحيوان لا تقل من حيث الكثرة عن مثيلاتها في اللغات الغربية. ويستمتع من يقرأ **مقامات الحريري** بتشبيهات لطيفة جدا، وقد تكون نابية، ومنها ما لا بأس به مثل قولهم (أقبح من قرد).

ودائما تروي الحكايات الشعبية على المستمعين "مناظرة"ما، وتحاول جاهدة إثبات تفوّق حيوان على حيوان آخر: أيهما أكثر أهمية، الناقة أم البقرة، الشاة أم الدجاجة؟ أو بالأحرى مالحيوان الأفضل الجدير بالتفوق على غيره؟ وقد ظل هذا اللون الأدبي معروفا في المنتديات الأدبية، حتى زمن أمين الريحاني (ت ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م).

إن الحيوان أكثر أهمية في قصص الصوفيّة، فالحيوان الذي يضحّي بنفسه من أجل إنقاذ حياة صاحبه فكرة شائعة في العالم الإسلامي مثل هرّة

المتصوف الهندي أشرف جاهانكير السمناني (ت ٨٠٨ هـ/ ١٣٠٥م) التي قذفت بنفسها في إناء من اللبن المغلي، لأنها رأت ثعبانا ساما في قاع الإناء، فأرادت أن تنقذ حياة صاحبها الذي أوشك أن يشرب ذلك اللبن. والحيوان، خاصة الهرّة، نموذج للوعي الروحي، ففي أحوال كثيرة تحذر القطة صاحبها، في حين تتحول القطة الشرسة إلى حيوان مطيع بمجرد نظرة من صاحبها. بل عاش بعض الصوفية في صحبة الحيوان، فسهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٢هـ/٨٩٦ م) وهو من أعظم أئمة الصوفية، بنى قرب مسكنه بيتا سماه "بيت السباع"، حيث عاشت الحيوانات المتوحشة معا في وئام. ويتولى الصوفية تربية الحيوان الذي يقوم في بعض الأحيان بخدمتهم بإخلاص وتفان. مثل هذه الحكايات كثير في سير القديسين الأوربيين في العصور الوسطى. وربما تكون القصة المروية عن رابعة العدويّة (ت ١٣٥هـ/ ٧٥٢م) حقيقية ، إذ يحكى أن الحيوانات لا تهرب من صحبتها، لأنها لا تشم في أنفاس رابعة رائحة الدهون الحيوانية، إذ كانت رابعة نباتية ملتزمة مثل عدد غير قليل من الصوفيّة. يجب على الإنسان أن يحترم الحيوان لأنه من مخلوقات الله، مما يبدو واضحا في قصة الزمخشري (ت ٥٣٧هـ/١١٤٣م) وهو من أشهر مفسري القرآن الكريم، فقد الزمخشري إحدى قدميه خلال إحدى رحلاته، وعندما سئل كيف حدث ذلك، أجاب أنه كان لي في صباي طائر، ووقع ذلك الطائر داخل حفرة في جدار لم يستطع منها فكاكا، وعندما

حاول الزمخشري إخراجه من الحفرة بجذب الخيط الذي التف حول ساق الطائر، انكسرت وانفصلت عن الطائر. وعندما عرفت أمه بما جرى للطائر المسكين دعت على ابنها بأن يفقد إحدى قدميه، واستجاب الله لدعائها.

الحيوانات مخلوقات الله، ويجب أن تعامل برفق حتى لا تصاب بمكروه، بيد أن بعض الناس مثل أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، يعتقد أن الله سيعوض الحيوان خيرا في الحياة الآخرة عن كل ما قدر عليه معاناته من آلام في الحياة الدنيا. ومن المعروف أنَّ النبي ﷺ نهى عن ممارسة كل ألوان الاقتتال الذي يدور بين الحيوان، مثل صراع الديوك أو نطاح الكباش. ومما يدعو للأسف أن ألوان الاقتتال هذه، رغم نهي النبي ﷺ عنها، ظلت من بين ألوان الترفيه الشعبية الشائعة، التي مورست على نطاق واسع وبشيء من الأبهة والاهتمام في زمن المغول، وتصور المنمنمات تفاصيل القتال بين الفيلة أو بين الجمال.

إذا ما تناولنا مملكة الحيوان بادئين بأدناها شأنا: الحشرات، نجد أن بعض الحشرات ورد ذكرها في القرآن الكريم وبصفة خاصة الجراد ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٣٣). تحدثنا الآية عن تسليط الطوفان والجراد على مصر عقابا لأهلها. أما البعوضة، التي بدأنا بها حديثنا هذا، فهي رغم ضعفها الظاهر يمكن أن تكون أداة

انتقام بإذن الله ، إنها عدو جبار لا ينبغي أن نستهين به. ألم تستطع بعوضة ضئيلة الحجم أن تقتل النمرود، ذاك الطاغية الجبّار، بأن زحفت عليه من فتحة أنفه ودمرت مخّه ؟ وهكذا يعاقب الله كل جبّار بأن يسلط عليه أصغر المخلوقات.

ننظر إلى البعوضة من زاوية أخرى، في القصيدة التي كتبها شاعر هندي بالأردية، يتغنى بها في ليلة صيف قائظ:

من ذا الذي يأتي إلى مخدعي كل مساء؟

ليوقظني مغرداً بأغنيات الحب في مخدعي

أهي صديقتي، متعمدة فعل ذلك؟

لا إنها بعوضة!

البرغوث أكثر إزعاجًا من البعوضة، رغم ذلك يُروى عن النبي ﷺ أنه قال ردا على نفر من الصحابة جاءوا إليه شاكين من ذلك المخلوق الضئيل الذي كثيرا ما ألحق بهم الأذى: (على الأقل يوقظكم لتؤدوا الصلاة) وقد بحث العلماء مشكلة ما إذا كان من الجائز قتل البراغيث والقمل أثناء الحج، وكتب محمد بن عمر الغمري (ت ٨٤٩ هـ/ ١٤٤٥م)، الذي عاش في القاهرة، رسالة عن وجود البراغيث والقمل في الثياب وتأثيرها على الطهارة أثناء تأدية مناسك الحج. ويتساوى حظ الذبابة من حيث الحب والكراهية، ألا يتنقل الذباب كيف يشاء؟ ولم تأت عبثا تلك العبارة الشائعة ": أكثر اعتزازًا بنفسه

من ذبابة" . ويقال إن الخليفة العباسي المأمون، ابن هارون الرشيد، كان يشكو من كثرة الذباب الذي يحيط به على الدوام، ووجه سؤاله وهو شبه يائس من الحصول على جواب شاف إلى الفقيه العظيم محمد بن إدريس "الشافعي"(ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): لماذا خلق الله الذباب؟ فأجابه الشافعي أن اللّه خلق الذباب ليضرب مثلا لذوي السلطان أن هناك شيئا لا يستطيعون بكل ما أوتوا من قوة أن يتغلبوا عليه، وقبل المأمون هذه الحجة.

يرتبط الذباب في التراث الفارسي عادة بالحلوى. يقول حافظ لا عجب أن يتجمهر المعجبون على باب المحبوب، "إذ حيثما وجد السكّر تكاثر الذباب".

العنكبوت من بين الحشرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لَبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٤١)، ولعل في الجزء الأخير من الآية إشارة إلى أن ما يبدو خيطا هشا إنما هو في حقيقة الأمر شديد القوة، بينما من المسلّم به أن بيت العنكبوت ضعيف غاية الضعف، نجد في التراث الإسلامي تلك القصة الجميلة عن العنكبوت التي غطت ببيتها باب الغار حيث قضى فيه النبي ﷺ ومعه أبو بكر الصديق ليلتهما وهما في طريقهما إلى يثرب. وهكذا يمكن النظر إلى العنكبوت على أنه رمز لإرادة الله تعالى. وفي قصيدة جميلة للشاعرة الفارسية پروين اعتصامي

(ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) تصف العنكبوت التي تعمل دون كلل أو ملل بأنها "نسّاج الله". ولكن بصفة عامة يوجه الشعراء وغير الشعراء انتقادهم للعنكبوت، ويحذرون القارئ من الانغماس في أعمال دنيوية ليس لها من جدوى، ولا تعود عليه بنفع كثير أو قليل.

تلهث الأنفاس وراء مشاق أعمال الدنيا

مثلما ينسج العنكبوت بيته بما يفرزه من لعاب.

النملة من المخلوقات الضئيلة التي يرد ذكرها كثيرا، في قصة جميلة عن سليمان عليه السلام، النبي والملك: ﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (سورة النمل، الآية ١٨) . الحديث بين النبي العظيم عليه السلام ومخلوق صغير متواضع صار مصدر إلهام لكثير من الشعراء في قصص وصور مجازية وأمثال. الكثير من أولئك الشعراء شبهوا أنفسهم بنملة ضعيفة صغيرة تأمل رغم عجزها وضآلة شأنها أن تحظى بالقبول في حضرة الحاكم أو المحبوب. وقيل إن النمل قدّم إلى سليمان عليه السلام بذرة زهرة اللوتس، وفي رواية أخرى قدم إليه ساق جرادة، وصارت ساق الجرادة مثلا للذي يقدم هدية لا قيمة لها إلى شخص عظيم الشأن، هدية صغيرة في ظاهرها ولكنها نبيلة المقصد، لأن حمل ساق الجرادة عبء ثقيل على نملة ضئيلة. ويذكر الدميري أن النملة أكثر المخلوقات عرفانا بالجميل. أضف إلى ذلك أن النملة رغم جسمها الضئيل كثيرًا ما توصف بالقوة والشجاعة،

لأنها تستطيع أن تحمل على ظهرها ما هو أكبر منها بكثير. ويقال إن أحد الأولياء الصالحين بارك أحد الحكام داعيا له"أدعو الله أن يجعلك قويا كالنملة" ثم شرح هذا الدعاء الذي يبدو في ظاهره بلا معنى، للحاكم الذي اختلط عليه الأمر.

بينما يعتبر النمل بصفة عامة مخلوقا طيبا وقويا ومجتهدا، يراه بعض الكتاب جشعا شحيحا، يُكدِّس الطعام تحت الأرض ليقتات عليه في شهور الشتاء. ويحفل الأدب الفارسي بالقصص التي تقارن بين ذلك المخلوق الضئيل الذي يتسم بالبخل والتقتير، والبلبل وغيره من الطيور المغردة التي تقضي أيام الصيف تغني سعيدة تتجول بين الحدائق تستمتع بما فيها من جمال.

إن كان النمل يسترعي الانتباه كحشرة طيبة وكريهة في آن معاً، فإن حشرة أخرى ممدوحة في القرآن الكريم، ألا وهي النحلة التي يبدو أنها تتلقى الوحي الإلهي في سورة النحل﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ (سورة النحل، الآية ٦٨). وكلمة "أوحى" ، التي تختص عادة بالوحي الذي ينزله الله على الأنبياء، تجعل للنحل مكانا متميزا في مملكة الحيوان.

ولا يقتصر ما تصنعه النحل من شراب على منافع طبية فحسب ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (سورة النحل،

الآية ٦٩)، بل كذلك لأن الرسول ﷺ يحب العسل، وهذا ما دفع بعض الأولياء لابتكار قصص وقصائد شيقة عن النحل، فقيل إن النحل عاون علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحدى المعارك، وأن ملك النحل "اليعسوب" (وكان من المعتقد حينذاك أن للنحل ملكا حاكما وليس ملكة أنثى) أدى دورا في وصف قيادة علي رضي الله عنه وقوته في زمن الحرب. (وجدير بالذكر أن الأوربيين لم يدركوا أن ملكة النحل أنثى وليست ذكرا إلا بعد قرون عديدة، (الكلمة الألمانية للملكة der weisel تستخدم أداة التذكير). وحول النحل تدور حكايات لطيفة، عرفها الأناضول في القرن الرابع عشر الميلادي، كما كانت موضوعا لقصائد شعبية في السند في القرن الثامن عشر الميلادي، منها حكاية اكتشاف العسل: يحكي شاعر أنه ذات يوم وفد ضيوف على النبي ﷺ، فلم يجد ما يقدمه لهم مع الخبز - لا حلوى ولا زبد ولا أي شئ آخر - وفجأة ظهرت نحلة لتعرض المساعدة، وسألت النبي ﷺ أن يرسل أحد الصحابة معها. فرافقها علي رضي الله عنه، وعاد معها بقطعة كبيرة من العسل أخذتها من شجرة، وتذوّق النبي ﷺ وعلي رضي الله عنه ذلك السائل الغريب، ولدهشتهما كان شديدة الحلاوة، وشرحت النحلة أن النحل عندما يجمع الرحيق من الحقول، يردد باستمرار «الصلوات الشريفة» على النبي ﷺ، وبذلك يصبح العسل حلوا. ويوصي الشاعر الأناضولي يونس إمري (ت٧٢٠هـ/١٣٢١م) أن يسير الناس جميعا على هذا النهج بأن يصلّوا على النبي ﷺ في كل الأوقات حتى تصبح لهم حلاوة.

يُذكر العسل كدواء شافٍ، وأحيانا يمزج بالخل، وكثيرا ما نجد إشارة إلى العلاقة بين الشمع والعسل، في إحدى القصائد الفارسية من العصور الوسطى تبكي الشمعة وهي تنفصل عن العسل الذي كانت تحتضنه، لا عجب لذًا أن يوصف الزعيم الروحي بأنه مثل النحل، يعطي حلاوة روحيّة لمريديه.

وبينما يكال المديح للنحل، فإن قريبها: الدبّور ينال القدر الأكبر من الكراهية والازدراء. وفي الشعر، خاصة الشعر الفارسي، حكايات عديدة يشبّه فيها الدبور بالطاغية أو بأشد الأعداء خطرا. وعندما لا ينصت المرء لتحذير زوجته له بأن يزيل عش الدبابير من سقف البيت، يكون عقابه اللدغ الموجع من تلك الحشرة، إذ كان ينبغي عليه أن يقتل عدوه ضربة لازب. وهذه من بين القصص التي يحكيها الشاعر الفارسي سعدي (ت ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م). إذ يقول في إحدى قصائده:

حقا إن الطاغية مثل الدبور

دائما يلقي في قلبك الخوف والهلع

ولكن حين تتغلب على صبرك ذات يوم

عندئذ ستسحق رأسه بقدمك دون رحمة

ثمة حشرات أخرى، لا تزال أمامنا الفراشة. يختلط الأمر على الفراشة فيما يبدو، إذ تدور دون أن يكون لها من هدف أو مقصد، وقد اعتبرها أبو حامد الغزالي (ت٧٩١هـ/١١١١م) مستندا إلى إشارة في القرآن

الكريم، مخلوقا تعيس الحظ يجانبه التوفيق. لكن الفراشة عندما تلقي بنفسها في لهب الشمعة تبدو أشبه ما تكون بالعاشق المخلص، وقد اكتسب ذلك التشبيه شهرة في ألمانيا، واستخدم الشاعر الألماني جوته صورة الفراشة التي تضحي بحياتها كي تتحد مع معشوقها: لهب الشمعة.

يصف جوته في إحدى قصائده في "**الديوان الشرقي للمؤلف الغربي**"، هذا الفناء في المعشوق بعنوان " الشوق المبارك"، وقد عثر جوته على تلك الصورة في ترجمة المستشرق النمساوي جوزيف فون هامربورجستال Joseph Von Hammer-Purgstall قصيدة للشاعر الفارسي حافظ، الذي استخدم القصة كما استخدمها مئات من الشعراء قبله في التراث الفارسي. يرجع أصل تلك القصة إلى كتاب صغير للصوفي حسين بن منصور الحلاّج، الذي أعدم في بغداد عام ٣٠٩هـ/٩٢٢م. ويسمى "شهيد العشق الإلهي"، ترك لنا الحلاّج وصفا لمصير الفراشة العاشقة في "**كتاب الطواسين**"، الذي ربما كتبه في السجن، ونشره لويس ماسنيون Louis Massignon عام ١٩١٣. يصف الحلاج في نثر جميل مقفى، كيف تدور الفراشة حول الشمعة ثم تعود لتحكي لأخواتها عن تلك التجربة. ويمضي الحلاّج شارحاً أن ضوء الشمعة هو "علم الحقيقة"، وحرارتها هي "حقيقة الحقيقة"؟ والاتحاد معها هو "حق الحقيقة". وإذ يشتد بها الشوق إلى "حق الحقيقة" تُلقي بنفسها في اللهب، لا تتحدث أبدا مرة أخرى ولا تعود إطلاقاً إلى الصور الخارجية، إلى الكائنات المخلوقة.

هكذا تكاد الفراشة تصبح عند جميع الشعراء في التراث الفارسي التركي، وفي التراث الإسلامي الهندي، رمزا للروح البشرية، لأنها في شوق إلى الاتحاد مع المعشوق الإلهي، إنها رمز في موضعه، إذ كانت الفراشة رمزا للروح عند اليونان. كتب شاعر هندي في القرن الثامن عشر:

الحب كامن في قلب عاشق مخلص

الفراشة ليست بحاجة إلى من يعلمها كيف تحترق.

الشاعر إقبال، الذي يحرص على استخدام الرموز التراثية بينما يسبغ عليها معاني جديدة، يقارن بين الفراشة ودودة الكتب. دودة الكتب المسكينة على قدر كبير من العلم، تتخذ لها عشًا في المخطوطات القديمة من مؤلفات الفارابي وابن سينا، لكنّها لم تذق قط نار العشق، أما "الفراشة نصف المحترقة" فتعلّم دودة الكتب المسكينة القارئة المحترفة، كيف تلقي بنفسها في اللهب، ومن ثم تنال بموتها حياة خالدة.

رغم ذلك كله لا ينظر إقبال إلى الفراشة كحشرة مثالية، إقبال يفضّل اليراع، اليراع يشع نورا، لا يحتاج كالفراشة إلى نور خارجي، اليراع مثل أولياء الله الصالحين الذين يحملون في قلوبهم نارا مقدسة. وعندما نتصور مشهد ألاف اليراعات فيما مضى من السنين على ضفاف القناة في مدينة لاهور، ندرك أن إقبال، الذي عاش في لاهور، استلهم ذلك المشهد عندما اختار اليراع دون غيره من الحشرات.

أما السمندل، فتقول الأساطير الشرقيّة إنه يعيش في النار، ويجد متعته في حرارتها. ومن الغريب أن السمندل يعتبر من الطيور "مرغ سمندر" وليس من الزواحف، بل يتحدث الشعراء في شبه القارة الهندية مثل "ميزرا غالب" (ت١٢٨٥هـ/١٨٦٩م) عن ريش ذلك السمندل!

لا نجد ذكرا لزواحف أخرى إلا في النزر اليسير. لم أصادف الضفادع في **مثنوي** جلال الدين الرومي وفي الشعر الشعبي في السند. أما الأفاعي فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، ألم تتحول عصي السحرة إلى حيات التهمتها عصا موسى ولم تبق على شيء منها؟ كذلك تذكر القصص الشعبية أن إبليس دخل الجنة متنكرا في صورة أفعى صغيرة حملها طاووس إلى الجنّة. لذلك تعتبر الأفاعي، مثلما هو الحال في التراث الغربي، تجسيما للشر.

من ناحية أخرى تعتبر السحالي دائما من المخلوقات الطيبة. تقول حكايات الشعبية إن السحالي الخضر آمنت بالنبي ﷺ وصلّت عليه، لذلك تسمى السحالي في اللغة السواحيلية: "مجوسي مؤمني" السحالي المؤمنة. واقتصر الازدراء على السحالي السود وحدها، أما السحالي الخضر فهي موضع تقدير في الحكايات الشعبية.

ولا يغرنك كثرة الحديث في الأدب عن الحشرات وغيرها من الحيوانات الدنيا، فإن الطيور هي المخلوقات المفضلة لدى الشعراء

والمفكرين. سبق أن أشرنا إلى مفهوم الروح الطائرة، وهي فكرة ليست بالجديدة إذ عرفت منذ القدم، وشاعت على ما يبدو في تراث الأديان، ففي سورة النمل أن الله تعالى أنعم على سليمان عليه السلام بمعرفة لغة الطيور أو "منطق الطير" ﴿ وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾ (سورة النمل، الآية ١٦). وقد استعار فريد الدين العطار في وقت لاحق تعبير "**منطق الطير**" في قصته الرمزية الرائعة عن حج الطيور، وربما تأثر العطار على نحو ما برسالة الغزالي عن الطيور: "رسالة الطير". وقد استخدم أحد معاصري الغزالي فكرة الروح كطائر ولكن على نحو مختلف، ذلك هو الشاعر والصوفي عبد المجيد المجدود السنائي (المتوفى ٥٢٥ هـ/ ١٣١١م) المعروف بأنه نظم أول مثنوي فارسي في موضوعات دينية: "**حديقة الحقيقة**". ألفه في غزنه التي تقع في دولة أفغانستان الحالية. وقد نظم السنائي قصيدة طويلة بعنوان " تسبيح الطيور"، "ترجم" فيها مختلف أصوات الطيور إلى عبارات بلغة البشر. وتستحق تلك القصيدة دراسة متأنية من المتخصصين في علم الطيور وفي فقه اللغة. على أن مجرد القراءة السطحية لتلك القصيدة الصعبة تظهر ما للطيور من أهمية في التصور الديني للعالم عند الكتاب الفرس. وهذه الأهمية أمر طبيعي، لأنه ورد في القرآن الكريم ذكر الطيور بين المخلوقات التي تسبح بحمد اللّه: ﴿ ألم تر أن الله يسبِّح له من في السموات والأرض والطيرُ صافّات، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما

يفعلون﴾ (سورة النور، الآية ٤١) وفي سورة الأنعام شُبِّهت الطيور ببني الإنسان ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (سورة الأنعام ، الآية ٣٨)، وينسجم هذا مع تشبيه الروح بالطائر السجين في الجسد مثلما يسجن طائر في قفص. ولأنه من أفعال الخير تحرير الطيور من أسر أقفاصها، كذلك تنتظر الروح تلك اللحظة السعيدة التي يتحقق لها فيها الخلاص من سجن البدن. وثمة قصيدة بديعة من العصور الوسطى يكثر الاستشهاد بها في الكتب الدينية العربية:

قل لإخوانٍ رأوني ميّتا

ليس هذا الميت والله أنا

أنا عصفور وهذا قفصي

طرت منه فتخلّى رهنا

ويحب الأطفال اللعب مع الطيور التي يصيدونها ويضعونها في أقفاص، ويبدو أنهم لا يحسنون معاملتها (كما رأينا في قصة الزمخشري) فمن التشبيهات الشائعة تشبيه المحب بطائر وقع في يد طفل، الطفل يعبث به دون أن يقيم لمشاعره وزنا .

لبعض الطير مكانة خاصة في الأدب. فللبلبل مرتبة الصدارة في التراث الفارسي والتركي، وكذلك في الشعر الأوربي القديم، ومن أروع وأجمل

القصائد تلك التي كتبها في العصور الوسطى الشاعر التركي يونس إمري (ت ٧٢٠ هـ/ ١٢٣٠م) يصف فيها بلبلا شاكيا، واللازمة التي تتردد في القصيدة:

لماذا نواحك أيها البلبل!

البلبل أفضل رمز للروح، تجسيد للشوق والحب الخالد. ولا تخلو قصيدة حب في الشعر الفارسي أو الشعر التركي من الجمع بين "الوردة" (الحب الخالد) و"البلبل"، ومما ساعد على الجمع بين اقتران الوردة والبلبل تشابه الإيقاع الصوتي للفظين، (في التركية كل (وردة) - وبلبل). بل مضى الشعراء الفرس إلى ما هو أبعد من ذلك، تصوروا أن برعم الوردة هو قلب البلبل الباكي:

أيها البرعم هل أنت قلب البلبل الباكي؟

وهل يمكن للمرء أن يصف ما للوردة من جمال وضّاء؟ يعتقد جلال الدين الرومي أن ذلك ضرب من المستحيل، الجمال الإلهي أمر يعجز عنه الوصف. لذلك علينا أن نقنع بوصف الشوق الأبدي الذي يعبر عنه البلبل:

بالله عليك لا تتحدث عن الوردة

يكفيك الحديث عن البلبل الذي يشكو النأي عن الوردة!

ويبدو منطقيا - في معجم الشعر على الأقل- أن قطرات الندى التي تتلألأ على أوراق الشجر في الصباح الباكر، ليست سوى "دموع البلبل"، الذي

يغرد أهازيج لانهاية لها من التوق المحروم، يذرف الدمع باكيا، في نهاية ليلة أخرى من ليال قضاها بلا أمل.

البلبل هو العاشق، ولهذا فهو الطائر الأثير عند المحبين في جميع أرجاء الدنيا، ومن أسمائه في الفارسية كلمة: "هزار"، التي يمكن أن تدل على الرقم "ألف"، لأن أغنيات الحب التي يغرد بها البلبل تتوالى آلاف المرات أمام الوردة بأكمامها المائة.

طيور أخرى تتمتع بأصوات جميلة ولم تنل من اهتمام الأدباء ما ناله البلبل، من بين تلك الطيور: الشحرور، الذي رأى فيه بعض الكتاب واعظا يرتل كلمات الورع والتقوى من فوق منبره، ذاك المنبر هو الشجرة.

في التراثين العربي والفارسي أسماء عديدة للصقر. ونصادف إشارات عديدة عن تعليم وتدريب ذلك الطائر المعتد بنفسه. وكان تدريب الصقور (البيزرة) ولا يزال من الهوايات المحببة في الشرق الأوسط، ولا ننسى أن من أهم الكتب الأوروبية في العصور الوسطى، تلك الرسالة المزخرفة عن "**فن الصيد بالصقور**" من تأليف الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني Frederic II، الذي عاش في صقلية واشتهر بعلاقته الحميمة مع المسلمين وبحبه للثقافة الإسلامية. الصقر من الطيور المفضلة في كتب الصوفية باللغة الفارسية، يذكر بعض الشعراء، في تورية لطيفة، أن الصقر، ويسمى في اللغة الفارسية "باز"، سمي كذلك لأنه "يعود" إلى صاحبه الأوّل،

وتعني تلك العودة بالفارسية "باز أياد"، و فكرة الطائر المخلص الذي يتوق دائما للعودة إلى يد سيده، تشكل أساس الصور الشعرية التي تنسج حول الصقور. الصقر عند الصوفية روح ، تجسيد "النفس الأمّارة " التي يمكن بالتدريب الطويل والشاق أن تتحول إلى "نفس مطمئنة"، عندئذ تدعى للعودة إلى سيدها، كما جاء في سورة الفجر، ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾(الآيتان ٢٧ و٢٨). وقد أصبح الصقر، الذي يجسد الروح، موضوعا لقصص وحكايات كثيرة، خاصة حكايات شهاب الدين السهروردي شيخ الإشراق. ونجد الحديث عن الصقر في كل أشعار العطّار، وفي مؤلفات جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) طائفة من أروع قصص الصقور، من بينها تلك القصة المؤثرة عن صقر عزيز أبيض اللون سقط في يد عجوز شمطاء لم تعرف قيمته، قطعت جناحيه ومخالبه، وحاولت أن ترغمه على أن يشرب حساء المعكرونة! وعندما أبى أن يفعل صبت العجوز ذلك الحساء المغلي على رأسه، عندئذ تذكر سيده السابق العطوف فاشتد شوقه للعودة إليه. قصة رمزية طريفة عن الروح التي تسقط في عالم المادة، حيث لا يدرك أحد أنها روح عزيزة، فتعاني على أيدي حمقى يعاملونها وفق نهج مادي.

الشاعر محمد إقبال هو أكبر المعجبين بالصقر كرمز للمؤمن الحقيقي، ويحفل شعر إقبال، سواء بالأردية أو الفارسية، بإشارات إلى قصص الصقر، بوصفه الرمز الأصيل للمؤمن الدؤوب الذي لا يقنع بصيد

صغير، بل يتوق دوما إلى "الله وملائكته"، أي يضع لحياته أسمى الأهداف وأنبلها. (وتجدر الإشارة عرضا إلى انتشار لوحات فنية في فترة ما في باكستان تصور الصقر باسطا جناحيه في عباب السماء، بل انتشر بيع صقور محنطة للاحتفاظ بها كتذكار). أما جلال الدين الرومي فقد رأى في الصقور جانبا آخر، هو الحب، وهو أكبر طاقة في الكون، يمكن أن تشبه بصقر يمسك بالمرء فجأة ويطير به إلى آفاق جديدة، إلى عالم الروح الأبدي.

هناك تفسيرات أخرى لموقف الصقر من الحياة ومن الوجود. يقص علينا الدميري حكاية صاغها العطار شعرا قبل قرون عديدة، اتهم الصقر الدجاجة بأنها ناكرة للجميل، الناس يحسنون رعاية دجاجهم، يطعمونه ويعتنون به، رغم ذلك يجري الدجاج دائما بعيدا عن أصحابه. أما الصقر، على قدر ما يعتز بنفسه ويعتد بها، فيعود إلى سيده رغم ما تحمله من مشقة التدريب واقتفاء الفريسة. ولكن الدجاجة ترد بسؤال بسيط: "هل ذهبت مرة إلى السوق حيث يعلقون الدجاج المذبوح من ساقيه في المتاجر؟"

ويعود بنا الحديث إلى الدجاجة. يقينا إنها ليست بالطائر الرومانسي، إلا أنها كانت مصدر إلهام لبعض الكتاب. بل رُفع مقام الديك إلى منزلة المخلوقات السماوية. وفي القصص الشائع أن ديكا أبيض اللون يعيش في الجنّة، وعندما يؤذّن تعرف جميع المخلوقات، إلا الإنسان، أن ساعة البعث

قد حانت. وكنية الديك " أبو اليقظان" تبرز دوره كساعة منبهة، لأنه يوقظ النائمين. لهذا السبب قيل عن الديك إنه عدو المحبين، لأن صياحه يقطع عليهم نوم العشّاق، وينذرهم بأن قد حانت ساعة الفراق. لذلك نجد لوحات من المنمنمات، خاصة في مخطوطات المغول، تصور عاشقا يحاول أن يطلق النار على ديك، لأنه فرّق بقسوة بينه وبين حبيبته. وفي قصة أخرى أن الإمبراطور المغولي هومايون Humayun (حكم من ٩٣٦هـ/١٥٣٠م إلى ٩٦١هـ/١٥٥٦م) وضع ديكا في حجرة الخدم ليوقظهم لأداء صلاة الفجر.

والديك مثل كثيرين غيره في مملكة الحيوان له جوانب سيئة. فهو سيئ الخلق مغرم بالملذات الحسيّة، لا يترك دجاجة دون أن يطاردها، ولا يعرف إلى الوفاء سبيلا. ولذلك نظم الشعراء الفرس القدامى أبياتا تسخر من الديك غير الوفي الذي يأتي من الخطايا الكثير لينتهي به المصير إلى أن يذبح ويؤكل.

نصادف طيرا آخر ترتبط حياته بالريف، ألا وهو طائر اللقلق. وقد نظر المسلمون إلى اللقلق على أنه طائر ورع، يتوشح بالبياض مثل الحجاج، مداوم على ترديد الشهادة: الملك لك الحمد لك العزّ لك. هكذا يبرهن على أنه حاج مخلص، ألا يهاجر عاما بعد عام من موطنه إلى مكّة؟ ألا يعيش في المآذن عادة؟ (في الغرب كثيرا ما يتخذ اللقلق عشّه في أبراج الكنائس). محمد عوفي (ت ٦٢٠ هـ/١٢٣٢م)، في مختاراته من الشعر الفارسي القديم

أورد "قصيدة اللقلق":

اللقلق يأتي دائما بالنوروز بأخبار طيبة

اللقلق يدخل السعادة على قلوبنا الحزينة بما يحمله لنا من أخبار...

لأن طائر اللقلق عادة ما يعود في شهر مارس إلى المناطق الشمالية، أي في وقت قريب من أعياد النوروز (رأس السنة الفارسيّة) في فصل الربيع. وقد أوحت عادة اللقلق بالمثل القائل " يفر منه العدو مثلما يهرب اللقلق من رياح الخريف". بيد أن القصص الشعبي في مدينة أربيل، شمال العراق، تعتبر اللقلق طائرا منغمسا في الملذات الحسية: كان اللقلق في الأصل رجلا طلب من خادمته أن تصعد الدرج وتهبطه دون أن ترتدي ملابسها الداخلية، وصار ينظر إلى "أشياء ليس من اللائق النظر إليها"، وهو يضحك ويضحك، فمسخه الله لقلقا يكون صياحه صدى لضحكه الدنيء.

وإذا كان البلبل هو الطائر المفضل لدى الشعراء الفرس، فإن التراث العربي يكثر احتفاله بذكر الحمام. ويذكّر صوت الحمام النائح الشعراء العرب القدامى بأحزانهم. كأن الحمام يترجم بكاءهم من وحدتهم إلى لغته. هديل الحمام في الصباح كان دائما من الموضوعات المحببة إلى قلوب الشعراء أينما كتب الشعر العربي. كذلك أصبحت الحمامة المطوقة رمزا يجسد الحب الراسخ: صار طوق الريش الأسود حول عنقها رمزاً لرباط الإخلاص للحبيب، لذلك اتخذه علي بن أحمد، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) عنوانا لكتابه الرائع عن الحب العذري "**طوق الحمامة**".

من الناحية العملية الحمام هو الطائر الذي ينقل الرسائل. الحمام الزاجل كان أفضل وسيلة لحمل الرسائل إلى أماكن بعيدة، وكانت الرسائل تكتب على ورق رقيق للغاية وتوضع داخل اسطوانة من الفضة دقيقة الحجم تربط تحت جناح الحمامة. ومن هذه الممارسة صار الحمام بمثابة الطائر الذي ينقل رسائل الحب والشوق إلى المحبوب في أرض بعيدة. وفسر الفرس هديل الحمام بأنه يقول " كو كو" التي تعني بالفارسية أين؟ أين؟ أين المحبوب؟.

في فترة لاحقة ذهب الشعراء الفرس والهنود الذين كتبوا بالفارسية إلى حد تشبيه الحمام الرمادي اللون، الذي يرفرف بجناحيه حول شجرة السرو، بالفراشات التي تحترق رمادا بلهب الشمعة (وتشبيه الشمعة بشجرة السرو من التعبيرات الشائعة في الفارسية لأنهما تتشابهان في شكلهما النحيل).

ولا ينبغي أن ننسى العبارة الفارسية "كبوتر حرم" عن الحمام في حرم مكّة المكرّمة، حيث لا يجوز قتل أو جرح أي حيوان في ذلك الحرم المقدس. وفي مكة المكرّمة الكثير من الحمام. وينظر العاشق إلى قلبه كطائر يرفرف في حرم المحبوب، ليظل هناك مثله مثل حمامة تعيش سعيدة هانئة في حرم مكّة.

من الحمامة ننتقل إلى طائر آخر هو البطّ. يأتي ذكر البط في أمثلة قليلة نادرة في الشعر الصوفي على أنه شبيه بالإنسان، أو بالأحرى يشبّه

الإنسان بالبطّ. أليس الإنسان كائنا غريبا يعيش مثل البط نصفه في الماء ونصفه على اليابسة؟ وهكذا بنو البشر مقيدون بأغلال المادة على الأرض، ولكنهم يملكون الجرأة على استكشاف محيط ليست له نهاية، هو عالم الروح.

وأما الإوزة ، فلا نجد لها ذكرا في الشعر الرفيع قط، على أن الشعر الشعبي يضرب بالإوزة المثل في العديد من التشبيهات. الإوزة في شبه القارة الهندية نقيض البجعة النبيلة، التي تستطيع أن تخرج اللآلئ من أعماق المياه. وكلمة هانز hans ، التي تترجم عادة إلى "بجعة" يمكن كذلك أن تعني إوزة ضخمة مهيبة، وهذا هو الحال في التراث الشعبي الهندي، حيث يؤدي الإوز دورا هاما. أما في التراث التركي فنصادف الإوزة في صورة مختلفة، وقد ألف الصوفي التركي قايغوسز عبدال (ت ٨١٨ هـ/١٤١٥م) في القرن الخامس عشر الميلادي أغنية طريفة تحكي مغامراته مع إوزة عنيدة، اشترى الإوزة من امرأة عجوز (وهي دائما رمز للعالم المادي في الشعر) وحاول طهيها ، ولكن اللازمة بعد كل بيت هي :

طهيتها أربعين يوما ولمّا تنضج!

النفس، الروح الدنيا، لا يمكن التغلب عليها حتى بعد خلوة الأربعين، بعد اعتزال عالم المادة أربعين يوما كاملة.

وإذا كانت الإوزة بصفة عامة مخلوقا كسولا عنيدا، فإن البومة طائر شرير ونذير شؤم. إنها تعيش في الخرائب، حسب ما ذكر لنا إلياس بن يوسف

نظامي (ت ٦١٣هـ/١٢١٧م) في ملحمته البديعة: **هفت پيكر** "الصور السبع" أو "الجميلات". ومن أشهر قصص نظامي تلك التي تحكي عن لقاء بين اثنين من البوم يستعد طفلاهما للزواج: يعد والد العريس أن يكون المهر عددا كبيرا من الخرائب، شريطة أن يظل الملك الحالي في الحكم، فمن المؤكد أن تتحول البلاد برمتها إلى خرائب في ظل حكمه. ونصادف هذا المشهد الشديد الانتقاد للحكام الذين يضيعون ثروات بلادهم سدى، في العديد من مخطوطات شعر نظامي. وتبدو الجوانب الشريرة للبوم واضحة في عنوان رواية صادق هدايت (ت١٣٧١هـ/١٩٥١م)"**بوف كور**" أي "البومة العمياء" وهي من أولى الروايات المكتوبة باللغة الفارسية في إيران الحديثة والتي نالت شهرة عالمية.

ومن الطيور الكريهة الأخرى الغراب. أليس الغراب هو الذي ساعد قابيل على أن يدفن شقيقه هابيل، وهكذا ارتبط ذكره بالموت؟ ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ (سورة المائدة، الآية ٣١). والغراب طائر يظهر في الشتاء، خاصة في المناطق الشمالية من العالم الإسلامي، من تركيا إلى إيران وآسيا الوسطى. يصف العرب الغراب بأنه "غراب البين" ، وظهور الغراب عند الشعراء الفرس نذير بدنو أجل الزهور الجميلة ومقدم شهور الشتاء الباردة الطويلة. كذلك يمشي

الغراب في خيلاء كأنه واعظ يرتدي عباءته السوداء، لا يحب الأغنيات الجميلة التي تغرد بها طيور الصيف، ولا يعير الجمال أدنى اهتمام. لا يعرف الغراب مدى قبحه، كما يقول الرومي:

لو عرف الغراب كم هو قبيح، لذاب حزنا مثلما يذوب الثلج!

على النقيض من تلك الصورة السيئة للغراب، يعتبر طائر الكانك في السند رسول العشّاق، تنادي الفتيات اللائي يشتد بهن الشوق إلى الحبيب تلك الطيور الرمادية الداكنة المنتشرة في كراتشي وفي بقاع أخرى من وادي السند:

كانك كونشون كري.......

أيها الغراب انحنِ في أدب (أمام الحبيب)

هذا ما تتغنى به البطلة في العديد من الأغنيات الشعبية في السند، وفي قصيدة **ريسالو**، رائعة الشاعر السندي شاه عبد اللطيف (ت١١٦٥هـ/١٧٥٢م)، تدعو البطلة الغربان لأن تلتهم بدنها وهي في الطريق إلى حبيبها، تتمنى أن يأتي إليها الغربان بأخبار حبيبها مقابل أن تطعمهم جسدها، على أن لا تأكل الغربان عيونها، لأن عيونها رأت الحبيب. وتتكرر مثل هذه الصور القاسية في أدب السند، إلا أن الفتيات في تلك القصائد يحببن أن ينسجن خيوطا من ذهب حول أجنحة الغراب، على أن يأتي إليهن بأنباء طيبة من الحبيب الذي اشتد بهن الشوق إليه....

ذكر الهدهد في القرآن مثلما ذكر الغراب (بيد أن الهدهد أسعد حظا)، وقد أطلقت على الهدهد كنية "أبي الأخبار". وكان الهدهد رسولا بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ، لذلك فهو الطائر السفير الذي لا يدانيه غيره في ذلك الدور. ويبدو أن شكله الجميل بالتاج الذي يعلو رأسه يعطيه مكانة متميزة بين الطيور، بل حتى اسمه في العربية، "هدهد" أصبح جزءا من تراث الشعر الألماني، استخدمه جوته في "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي". ويظهر الدور المتميز للهدهد في قصيدة العطّار "منطق الطير" . حين تؤدي الطيور شعائر الحج، وتريد اختيار ملك عليها فتلتقي بالهدهد الذي يقودهم إلى ملك الطيور السيمرغ الذي يقص عليهم من القصص ما يعلمهم. أما المراقبون الذين لا يهتمون إلا بالجوانب الدينية أو الصوفية، فهو عندهم كائن قذر كريه الرائحة يتغذى بالديدان الحيّة. ويخاطب الشاعر أولئك المتغطرسين الذين يتباهون بالثروة أو الجمال وبالتيجان على رؤوسهم، قائلا إنهم مثل هدهد على رأسه تاج، وهو مع ذلك قذر كريه الرائحة، في حين أن الصقر الجميل النافع لا يتحلى بشيء من أسباب الزينة.

النعامة من الطيور التي تلفت الأنظار دائما. ليست بطائر وليست من الدواب. والاسم الذي يطلق على النعامة في اللغتين التركية والفارسية يشير إلى سلوكها الغريب، وتسمى في الفارسية "شترمرغ" وفي التركيّة "دوه

قوشي"، وتعني كلتا الكلمتين " الجمل الطائر" لأنك إذا طلبت من نعامة أن تطير أجابتك قائلة: ألا ترى أنني جمل؟ وإذا طلبت منها أن تحمل أثقالا مثل غيرها من دواب حمل الأثقال أجابتك : لا - ألا ترى أنني طائر من الطيور؟" وهكذا أصبحت النعامة في الأدب في فترة لاحقة مثالا للانتهازي، الذي لا يريد في الحقيقة أن يقوم بأداء أي عمل مفيد. وتحيط بهذا الجمل الطائر العديد من غرائب الحكايات: فمن المعروف أن النعامة تلتهم كل ما تصادفه في طريقها، لذلك لم يكن من العسير أن نصدق أنها ابتلعت جمرا مشتعلا، أو أن الجمر المشتعل هو في حقيقة الأمر طعام النعامة الوحيد.

قلائل هم الذين يعتبرون صوت الببغاء جميلا، ولكنه يُسمى في التراث الفارسي "ماضغ السكر" لأنه يستطيع أن يتعلم الكلام. وساد الاعتقاد بأن الببغاء يتعلّم الكلام بالنظر إلى مرآة يجلس خلفها شخص يتكلم في بطء، وهكذا يرى الببغاء نفسه في المرآة، بينما ينصت إلى المتحدث معتقدا أن الببغاء الذي يراه أمامه في المرآة هو الذي ينطق بتلك الأصوات، ويشجعه ذلك على أن يقلده. وفي نظر الصوفية يمكن أن يكون ذلك هو حال الإنسان. الببغاء يقلد صوت سيده، من ثم يتعلم على الأقل شيئا من الحكمة الروحيّة، وإن كان لا يتلقى وحيا مباشرا بل يردد فقط ما يصل إلى سمعه.

الببغاء طير هندي. العديد من القصص التي تحكى عن الببغاء تؤكد تلك الصلة. تحكي قصة جلال الدين الرومي "التاجر والببغاء" عن تاجر

يذهب إلى الهند، ويعد قبل سفره بأن يعود محملا بالهدايا لأهل بيته جميعا، ومن بينهم الخدم والحيوانات. طلب الببغاء من التاجر أن يحكي لأقاربه في الهند عن حاله، حبيس قفص يتوق إلى الحرية وإلى صحبة الأصدقاء. وعندما وصل التاجر إلى الهند بر بوعده، وحكى للببغاوات البرية عن قريبهم الحبيس، عندئذ سقط أحد تلك الببغاوات من فوق غصن شجرة كان يقف عليه، وكأنه مات. وعندما عاد التاجر من رحلته استجمع شجاعته ليحكي لببغائه الأليف تلك القصة المحزنة، ولما سمعها الببغاء وهو في قفصه سقط هو الآخر ميتا، عندئذ انتاب التاجر حزن أليم لما حل بالببغاء نتيجة سماعه الحكاية فأخرج الببغاء من القفص، ويا للعجب العجاب، طار الببغاء الذي حُسب في عداد الأموات إلى أقرب غصن شجرة، لقّن سيده درسا، أنه وعى الرسالة التي بعث بها إليه قريبه الطليق في الهند، تلك الرسالة هي "مت من أجل أن تحيا ".

هكذا يصبح الببغاء معلما حكيما، وكثيرا ما نجده في الأدب يؤدي هذا الدور، دور المعلم الحكيم. ولعلّ هذا الدور مستمد من التراث الهندي. وكانت القصص السنسكريتية عن الببغاء الحكيم معروفة على نطاق واسع، أعاد الشيخ ضياء الدين نخشبي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) قصصها بالفارسية في "**طوطي نامه** "أو "كتاب الببغاء"، الذي زُيِّن بالصور في القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده. في تلك القصص وفي قصص أخرى شبيهة يبدو

الببغاء كارها للنساء، يمنع زوجة سيده الشابة من لقاء حبيبها في غيبة الزوج، وينقل قصة اللقاء الذي لم يتم إلى الزوج، الذي يقتل زوجته جزاء لها. كثيرا ما تقوم الببغاوات في الحكايات الشعبية الهندية بدور المعلم الشيخ المتجهم. بيد أن الببغاء يمكن أن يقوم بدور المبشر، كما نرى في قصيدة ملحمية ترجع في نشأتها إلى كجارات في القرن الخامس عشر أو السادس عشر من الميلاد، تلك هي "حجة الهند"، حين يقوم فيها ببغاء حكيم بدعوة أميرة هندية وثنية إلى الإسلام ويعلمها أشياء كثيرة من بينها كتاب الصوفي الشهير، نجم الدين رازي المشهور بدايه (ت ٦٥٤هـ/١٢٠٦م) "**مرصاد العباد**"، الذي كتب في القرن الثالث عشر الميلادي، الببغاء في تلك القصة أقل نفورا من النساء منه في قصص أخرى. والعلاقة بين الببغاء ومعسول الكلام والمرايا لا تزال من التشبيهات والاستعارات التي يستخدمها الشعراء، ويزعم شاعر فارسي، من القرن السادس عشر الميلادي أن محبوبته ذات الخدّين الورديين عندما تنظر إلى المرآة تصبح المرآة حافلة بالورود، كذلك عندما يحدق الببغاء في المرآة يتحول إلى بلبل.

أما الطاووس، فهو طائر آخر يرتبط الحديث عنه بالهند، يقول المثل السائر "من يريد اقتناء طاووس عليه أن يتحمل مشاق السفر إلى بلاد الهند". تتناقض الأقوال حول هذا الطائر الجميل. في بعض القصص الشعبية أتى الطاووس بإبليس إلى جنات عدن، فعندما تنكر إبليس في صورة أفعى

صغيرة لم يجد صعوبة في دخول الجنة تحت جناح الطاووس. وهكذا أدى الطاووس أسوأ دور في الأيام الأولى للبشريّة. رغم ذلك يتمتع الطاووس بجمال خلاب ويستخدم ريشه كمؤشرات في ثنايا صفحات النسخ النادرة من القرآن الكريم. لكن الطاووس لا يبدو مغرورا بنفسه. يقص علينا الرومي قصة مؤثرة عن طاووس شوهد وهو ينتف ريشه لأنه السبب فيما لقيه من تعذيب على يد البشر. إن جشع البشر مصدره جمال الطاووس، لذلك يفضل الطاووس أن يعيش مخلوقا بائسا محروما من الزينة على أن يقاسي الأمرين بسبب مظهره الجميل. ولهذا رفض سعدي ما مدحه به بعض القوم:

أبدو جميلا في نظر الآخرين

بينما أفكر في عيوبي الخفية

الجميع يمتدحون بهاء الطاووس وألوانه

بينما يخجل الطاووس من قدميه القبيحتين

يبدو ريش الطاووس في جمال رائع أخّاذ، لكن صوته وقدميه أصبحت مضرب الأمثال في القبح. أتذكر فلاحا عجوزا من الأناضول شاهد طاووسا يزهو بريشه في حديقة الحيوان في أنقرة، ولم يملك أن يتوقف عن الصياح " سبحان الله، سبحان الخالق !" يبدو أنه تصور نفسه في عالم الأحلام.

والطاووس مع كل ما يتمتع به من جمال يأخذ الألباب هو طائر حقيقي ليس من نسج الخيال، محبوب بصفة خاصة في الهند وباكستان.

ولكن هناك طائرا آخر لا وجود له إلا في عالم الأساطير. ذلك هو "هوما"، طائر ضخم يتمتع بمزايا سحرية، فكل من يقف تحت جناحيه يصبح ملكا. ولذلك أصبح رمزا للقوة الروحية والدنيوية. وينسب بعض الكتاب تلك الميزة العجيبة إلى أن الهوما يعيش على أكل العظام فقط، ولا يؤذي أيا من الكائنات الحية، ويقضي أيامه في قناعة كاملة، لذلك صار قادرا على اكتساب الطاقة الروحية.

ويمكن على نحو ما أن نشبه الهوما بالسيمرغ أو العنقاء في التراث العربي، وهي طائر غريب طويل العنق يرد ذكره في العديد من المؤلفات، وكذلك في الرسالة الصوفية لابن عربي (ت ٦٣٨هـ/١١٦٥م) "**عنقاء مغرب**". وللسيمرغ في التراث الفارسي مكانة عظيمة الأهمية. في الملحمة القومية لإيران، "**شاهنامه**" للفردوسي (المتوفى عام ٤١٠هـ/ ١٠٢٠م) أي "كتاب الملوك" ينقذ السيمرغ البطل "زال" الذي طرده أبوه. أخذ السيمرغ ذلك الطفل وتولى تربيته مع صغاره. وتظهر لنا هذه القصة أوجه الشبه بين السيمرغ والعنقاء أو هما بالأحرى الطائر نفسه، لأن العنقاء أو الطائر الطويل العنق أنثى والسيمرغ كذلك أنثى، إذ تدل سيرته على أنه أم حانية.

ويبدو أن هذه الفكرة، أعني أن السيمرغ أنثى، قد تلاشت إلى حدما، وحسب علمي لا نجد إشارات إلى الصفات الأنثوية للسيمرغ في الحكايات التي ترجع إلى فترة لاحقة. وتحكي الأساطير أن ريشة من ريش السيمرغ سقطت في الصين، وكانت مصدرا لإلهام الفنانين بأروع اللوحات الفنية.

والصين هي البلد الذي اشتهر بفن الرسم والتلوين في التراث الإسلامي. كما ظهرت العديد من الفنون، إلى جانب الرسم، بفضل الريش الرائع الذي يكسو طائر السيمرغ، وهكذا غدت ريشة السيمرغ أساسا للإبداع في جمال الفنون الجميلة كلها. ويقول العطار "إن هذا هو المقصود بالحديث النبوي الشريف "اطلبوا العلم ولو في الصين".

السيمرغ في مؤلفات العطار يمثّل أهم الأدوار وأعظمها سموا، صار رمزا للوجود الإلهي بعد أن يلتقي به ثلاثون طائرا في نهاية رحلة شاقة طويلة تتبدى لهم هويتهم عند اللقاء مع السيمرغ. الأرواح تكتشف هويتها الإلهية.

وأخيرا نصادف طائرا ذا جناحين، يستحق أن نصنفه مع الثدييات، ألا وهو الخفاش. الخفّاش سيئ السمعة، لأنه ليس طائرا و ليس من الثدييات، له جناحان ولكنه لا يبيض مثل الطير بل يلد، ولا يظهر إلا بعد الغروب، مبتعدا بنفسه عن الشمس وأشعتها. وهكذا تحول الخفاش المسكين إلى مخلوق يكرهه الناس، أو على الأقل يخافونه. ورغم ما ورد في نهج البلاغة من وصف للخفاش أقرب إلى الصفات الحميدة، يعطى الكاتب الساخر محمد بن محرز الوهراني (ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) في إحدى "مناماته" الهزليّة انطباعا بالازدراء الشديد لذلك المخلوق المسكين، أن ملك الحيوان يطلب إصدار فتوى بقتل الخفاش.

الخفاش في معظم قصص التراث من مخلوقات الظلام، ومع ذلك صار الخفاش عند الكتاب الفرس بمثابة الطائر الذي وصفه عيسى عليه

السلام بأنه " كهيئة الطير "، جاء في سورة آل عمران ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾(الآية ٤٩) أليس الخفاش "كهيئة الطير" وليس طيرا حقيقيا؟ هذا ما يقوله بعض الكتاب الفرس عن الخفّاش. ورغم أن ما كتب عن تجنب الخفّاش للشمس، رأى العطار في ذلك المخلوق الوضيع سعيا إلى الشمس، إنها الشمس الروحية الخافية عن الذين يعيشون في ضوء النهار الساطع. يعتقد العطار أن الخفاش يبحث عن الشمس في منتصف الليل، يبحث عن النور الذي لا يوجد إلا في عالم الروح، وبذلك يصبح الخفاش، في نظر بعض الكتّاب، باحثا منفردا عن الحقيقة والنور.

وما ذا عن ذوات الأربع؟ دواب الحمل والسباع المفترسة والخيول السريعة والأفيال الضخمة؟ نجد لبعضها ذكرا في القرآن الكريم ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾(سورة التكوير، الآية ٥). إنها مثل سائر الحيوان ذات مكانة مهمة في حياة البشر وفي الصور الشعرية. ينسب إلى النبي ﷺ حثه للمسلمين على حسن معاملة الهرّة، وإن لم يكن هذا القول من الأحاديث الصحيحة، فلعله يعبر عن حب المسلمين للهرّة. والأمر كما يقول الدميري "الهرة حيوان متواضع رقيق القلب"، أضف إلى ذلك أنه حيوان نظيف، لعاب

الهرّة لا ينجس، الماء الذي يشرب منه القط هو ماء صالح للوضوء. نلاحظ أن الهرّة تدفن في عناية ما يخرج منها من غائط، مما يجعلها نموذجا لبني البشر، الذين يجب أن يجتهدوا في ستر أعمالهم وأفكارهم الشريرة. ومن أكثر القصص الشعبية انتشارا في الأيام الأولى للإسلام، أن النبي ﷺ أراد ألاّ يزعج هرته، التي نامت على أكمام عباءته، فبدلا من أن يوقظها عندما نهض للصلاة قطع أكمام العباءة ليتركها نائمة. ونجد هذه القصة في كتب القصص الأوروبية عن الإسلام، وهي كتب نادرا ما تحوي مديحا للنبي ﷺ. كذلك جاء في الأدب الألماني أن النبي ﷺ كان يربت على قطته، وكتب جوته في "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" عن الحيوانات التي دخلت إلى الجنة، وذكر بينها الهرّة لأنها: "حيوان باركه الله وربت عليه النبي".

يحكي الصوفي العظيم جلال الدين الرومي قصة أخرى عن دور مهم للهرّة في حياة النبي ﷺ. ذات يوم جاء ثعبان إلى النبي ﷺ باحثا عن طعام والتف حول خصر النبي ﷺ حتى كاد يعضّه. في تلك اللحظة مر به أبو هريرة رضي الله عنه وفتح حقيبته، وقفزت من الحقيبة هرّة شجاعة مندفعة نحو النبي ﷺ لتقتل الثعبان، ومسح النبي ﷺ على جبهة الهرّة عرفانا بالجميل، لذلك نرى على جبهة كل هرّة أربعة خطوط، دلالة على أصابع النبي ﷺ التي باركت الهرّة، كذلك ربت على ظهرها، لذلك لا تسقط قطة على ظهرها أبدا لأن النبي ﷺ لمس هذا الجزء من جسمها.

ومن أكثر القصص المؤثرة عن الهرّة في الأدب العربي القديم تلك التي تحكي عن صوفي من بغداد، هو أبوبكر الشبلي (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م)، الذي مات ورآه أحد أصدقائه في الحلم. وعندما سئل ما ذا فعل الله به، أجاب أن الله أنعم عليه بدخول الجنة، ثم سئل الشبلي في المنام إن كان يعرف سببا لهذه النعمة، وعدد الشبلي كل ما قام به من فرائض الدين، من صوم وصلاة وأداء للحج وإخراج للزكاة، ولكن أياً من تلك الفرائض لم تدخله الجنة. أخيرا سأله المولى" هل تذكر يوما باردا في بغداد تساقطت فيه الثلوج، وكنت تمشي ملتحفا بعباءتك عندما رأيت هرة صغيرة ترتعش من البرد، وأخذت الهرة ووضعتها تحت عباءتك الدافئة؟ من أجل هذه الهرة الصغيرة صفحنا عنك".

ومن القصص الأخرى الأقل شهرة، أن مريدي الطريقة الصوفية المغربية "الهداوة" لهم هرر ذات حرمة، كأنها أخوات للفقراء الذين يعيشون على الصدقات، وتعامل تلك الهرر باحترام بالغ، حسبما بيّن رينيه برونل René Brunel في دراسته عن الهداوة..

يعرف الكثيرون تلك القصص القديمة عن " الهرّة والفأر". ومن نماذجها قصّة الحرب بين الهرر والفئران، التي كانت معروفة في مصر القديمة وظهرت في جميع اللغات الشرقية (ومن ثم في كل اللغات الغربية). في الشرق تعتبر قصيدة "الهرّة والفأر" لعبيدي زكاني (ت٧٧٢هـ/١٣٧١م)،

أشهر النماذج الفارسيّة. ومن القصص المعروفة على نطاق واسع قصة الهرّة الماكرة التي خدعت الفئران، والفئران الشجاعة التي تجمعت للدفاع عن نفسها، وفي بعض الأحيان يكتب النصر للفئران! أصبحت العلاقة بين الهرّة والفأر مضرب الأمثال. والهرّة التي تغرر بالفأر الضعيف كثيرا ما توصف في الأدب بالنفاق الخبيث. وكما يقول المثل البنغالي: "بعد أن التهمت الهرّة سبعة فئران ذهبت إلى الحج" أو " ذهبت إلى الحج بينما لا يزال ذيل الفأر معلقا من فمها".

ولكن يجب ألا ننسى قصة الرجل الذي أخذ هرته إلى بلد كثير الفئران وليس به هرّة واحدة. باع الرجل هرّته إلى الحاكم وأصبح من الأثرياء، تخلص ذلك البلد من الفئران. وهذه القصة من القصص المعروفة في إنجلترا.

لم يرد ذكر الهرّة في القرآن الكريم، رغم ذلك أحبها المسلمون. والعكس تماما بالنسبة للكلب. تتحدث سورة الكهف عن النائمين السبعة وكلبهم المخلص، وقد بسط ذراعيه على عتبة الكهف ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ﴾(الآية ١٨)، ووجد هذا الكلب طريقه إلى ديوان جوته:

الكلب الصغير الذي ساهم مخلصا في نوم أصحاب الكهف

كلب أصحاب الكهف من بين الحيوانات التي تدخل الجنة. وقصص التراث الشعبي تسمي هذا الكلب قطمير، ومن العادات الشائعة في آسيا الوسطى كتابة كلمة "قطمير" على الرسائل أو الصور ذات القيمة الخاصة، وكأن الاسم سيكون حارسا أمينا لها.

ولكن الكلب في الشريعة الإسلامية حيوان نجس، وكل ما يمسه لعاب الكلب يصبح نجسا. ويجب أن يبقى الكلب خارج المنزل، وحتى يومنا هذا نجد أن الضيوف في البلاد الإسلامية ينتابهم الفزع إذا ما رأوا كلبا داخل بيت المضيف. بل هناك من يعتقد أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة.

ورغم ما يقابل به الكلب من ازدراء لنجاسته، أصبح في نظر الصوفية نموذجا للوفاء، هو أكثر الحيوانات إخلاصا: لا يفترق أبدا عن سيده. وقصص الصوفية، خاصة في مؤلفات العطّار، تحفل بحكايات عن كلب يتحول إلى معلم لشخص أصابه داء الغرور، علمه الحيوان الوضيع فضائل الدأب والمثابرة والتواضع والإخلاص، حيث يقضي الليالي يقظا ليحرس بيت صاحبه. وعرف الأدب موضوع الكلب ووفاءه منذ وقت مبكر. وفي القرن التاسع الميلادي كتب محمد بن خلف المرزبان (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) رسالة بعنوان "**فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**". ويحتل حب الكلاب مكانا بارزا في الأدب الفارسي بصفة خاصة، وربما يرجع ذلك إلى

حب الفرس القدماء للكلاب، كانت الكلاب في الزرادشتية من بين الحيوانات المقدسة، وربما تأثر الكتاب المسلمون في إيران بتلك الأفكار القديمة.

ارتباط الكلب بسيده جعل منه نموذجا يقتدي به المحب الذي يفعل كل ما يرغبه المحبوب، والكلاب جزء لا يتجزأ من أغنيات الحب الفارسية، ويتضمن ديوان عبد الرحمن جامي من هراة (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) أكثر من ثلاثمائة إشارة إلى الكلب، يتحدث فيها عن المحب المخلص إخلاص الكلب لسيده.

وتعبر عن إخلاص الكلب أسماء مثل سگ علي أو كلب علي، عند الشيعة، ولا ننسى عبارة سگ ليلى أو كلب ليلى ، وتطلق على الشخص الذي لا نحبه حقيقة ولكن علينا أن نتحمل صحبته لأنه صديق أو قريب للمحبوب. وهناك قصة عن مجنون ليلى الذي شوهد وهو يقبّل ذراع كلب، وعندما سئل عن السبب في هذا المسلك الغريب أجاب: " لقد مشى هذا الكلب في شارع تسكنه ليلى.

وهكذا يمكن لأقل المخلوقات شأنا أن تصل إلى مكانة رفيعة، وبقدر ما ينال الكلب من ازدراء يجب ألاّ نسيء معاملته. ومن أشهر القصص بين الأتقياء تلك التي تحكي عن امرأة سيئة السمعة. رآها النبي ﷺ وقد صادفها

كلب يلهث عطشا في الصحراء ويسعى عبثا للوصول إلى بئر مياه قريبة. وما كان منها إلا أن خلعت شالها وحذاءها وصنعت منهما دلوا رفعت به قدرا من الماء لتعطيه الكلب الذي اشتد به الظمأ. ويقال إن النبي ﷺ شاهد هذه المرأة فيما بعد ضمن أهل الجنة، فقد أنقذها فعلها الطيب مع الكلب المسكين.

وماذا عن الفأر، الذي سبق أن أشرنا إليه في الحديث عن الهرّة؟ الفأر حيوان جشع، هو في نظر الصوفية رمز للنفس، الروح الدنيا. ويظهر الفأر عادة في قصص كمثال لأولئك الذين يحرصون على تكديس الثروة. في بعض هذه القصص يرى الأبناء في الحلم أن آباءهم البخلاء يتحولون بعد موتهم إلى فئران. والفأر: النفس الحيوانية، يرمز للجوانب المادية الأرضية في حياة الإنسان، كما نرى في قصة طريفة يرويها لنا الرومي. وقع فأر في غرام ضفدع وفي النهاية أقنع الضفدع بأن يربط خيطا حول ساقه ويلفه حول قدمها، حتى لا ينفصلان. وكان أن أمسك أحد الأشقياء بالفأر، ولأن الضفدع مربوطة معه فقد هلكت هي الأخرى، وهكذا تهلك الروح عندما تعتمد على البدن أو على الغرائز الوضيعة.

وما ذا عن أشهر الحيوانات قاطبة في العالم العربي، الفرس النبيل؟ نهى القرآن الكريم عن المبالغة في حب الخيل، يُقال عندما كان سليمان عليه السلام مشغولا بفرسه النبيل وأهمل أداء الصلاة، ثم ملأه الندم فذبح فرسه

﴿ إذ عُرض عليه بالعشي الصافناتُ الجياد ﴾(سورة ص، الآية ٣١)، من ناحية أخرى تحض الأحاديث النبوية المؤمنين على حسن رعاية خيلهم.

وتقول الأساطير إن الحصان خلق من رياح الجنوب السريعة، ويحتاج المرء إلى تأليف كتاب تلو كتاب ليعدد الأوصاف الرائعة للخيل في الشعر العربي، أوصاف من الصعب ترجمتها إلى أي من اللغات الغربية الحديثة، ترجمة تنقل إلى القارئ بتلك اللغات الفروق الدقيقة في اللون والشكل التي كانت شائعة في التراث الشعري العربي.

ونصادف في التراث الشعري، خاصة التراث الفارسي، تقليدا جديرا بالملاحظة، هو الحديث عن الفرس الضعيف أو الفرس الحرون الذي أصبح في التراث الصوفي رمزا على النفس أو الروح الدنيا. ويشكو شعراء الفرس في العصور الوسطى أحيانا أن الأمير أو السلطان أعطاهم خيلا هرمة مترهلة، ويصفون في تهكم تلك المخلوقات الغريبة، زاعمين أن لابد أن تكون الخيل التي امتطاها آدم، وعاشت في زرائب فرعون، وخدمت ملوك إيران القدامى وأسرة الأمير الحالي بكاملها. ولكن الأهم من ذلك بكثير تلك الإشارات إلى الفرس الحرون. وفي بعض الأحيان تظهر المنمنمات الفارسية فرسا نحيلا أضناه الجوع وبجانبه السائس، وقد يصف الشعراء الطريقة التي يتم بها تدريب الفرس الحرون، بالجوع والعمل الشاق، عين الطريقة التي تتحول بها روح أغرتها الشرور إلى "نفس مطمئنة". بالتدريب الشاق وحياة

الزهد، بالجوع والحرمان من النوم يمكن السيطرة علي الفرس الحرون وتحويله إلى فرس سريع رائع يحمل الطالب بأسرع ما يمكن إلى حضرة المحبوب. وجدير بالذكر أن أغاخان محمد شاه الثالث (ت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) أصدر فرمانا عام ١٨٩٩م يقارن فيه الروح بفرس لابد من تدريبه حتى يصل راكبه إلى هدفه المأمول.

والفرس الذي يلقى تمجيدا في صورته الروحية، هو البراق، ذلك المخلوق ذو الجناحين الذي حمل النبي إلى الحضرة الإلهية. نرى للبراق دورا هائلا في الشعر والفنون الشعبية. وتظهر صورة هذا المخلوق العجيب بوجه امرأة وأجنحة مزدانة بشتى أنواع المجوهرات. والذين قدر لهم أن يشاهدوا رسم البراق على مؤخرة سيارات النقل في باكستان لا بد أنهم شعروا أن الفنان الذي رسم تلك اللوحات قد أطلق لنفسه عنان الخيال، ليزين ذلك المخلوق الغريب بكل ما هو نفيس وجميل. ويستخدم رسم البراق في غرب أفريقيا وكذلك في الهند وفي إندونيسيا كتعويذة تجلب الحظ السعيد، وكأن الرسّام يرى فيه مخلوقا روحانيا عجيبا أنعم الله عليه بأن يحمل النبي نحو السماء، لذلك قد يساعدهم على أن يقتربوا من عالم الروح ودار النعيم الدائم.

على قدر حسن طالع الفرس والبراق العجيب، هناك حيوان آخر قريب الشبه بالفرس، هو الحمار، من أكثر المخلوقات حظا من الازدراء. أليس صوته هو أشد الأصوات قبحا، كما جاء في القرآن الكريم في سورة لقمان

﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(الآية ١٩)، كما أن هذا الحيوان المسكين لا يدري ما يفعل، يوصف شخص بأن أصبح مثل الحمار في الغباء، وتصف سورة الجمعة، هؤلاء الأغبياء ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(الآية ٥). أما الحمقى الذين لا ينصتون إلى النصح فهم مثل حمير مذعورة تفر هاربة من سباع جسورة، كما وصفهم القرآن الكريم في سورة المدّثر ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ﴾ (الآيتان ٥٠ -٥١)، هؤلاء لا يفهمون ما يدور حولهم. كذلك أصبح الحمار في أوروبا مثالا للغباء ، والمثل الذي يصف أحدا من الناس بأنه "أكل مخ حمار" ، يعني أنه بلغ من الغباء ذروته. في هذا السياق توجد إشارة إلى الحمار ذات أهمية كبيرة عن العلاقة بين عيسى عليه السلام والحمار. نظرا لأن عيسى دخل إلى القدس على ظهر حمار كان من السهل أن نرى في تلك الصورة تعبيرا عن الروح والبدن، كان التناقض بين عيسى، الكائن الروحي، والحمار الغبي المقيد بماديات الحياة، من الموضوعات المفضلة لدي الشعراء الفرس، الذين ذهبوا أحيانا إلى حد بعيد في التعبير عن حقيقة أن الشخص المادي لا يمكن له أبدا أن يصل إلى سمو الروح. كما يقول جلال الدين الرومي:

ذلك الذي يقبّل مؤخرة الحمار ما أبعده عن مهد عيسى.

من المستحيل أن نحصي ولو النزر اليسير من الأوصاف التي قيلت عن الجواد في الشعر العربي، وكذلك الجمل، ذلك الحيوان الذي يؤدي دورا هاما في المجتمع العربي، ليس في واقع الحياة العملية فحسب بل كذلك في القرآن الكريم. يطرح القرآن سؤالا ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ (سورة الغاشية، الآية ١٧) ، كذلك جاء في القرآن الكريم ذكر ناقة النبي صالح في سورة الأعراف ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾(الآية ٧٣)، وفي سورة هود ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾(الآية ٦٤)، وكانت الآيتان الكريمتان مصدر إلهام لصور رائعة في الفن الإسلامي في وقت لاحق. الإبل من المقتنيات النفيسة لدى البدو، لذلك يقال أن جماعة من الأعراب سألوا النبي ﷺ: يا رسول الله هل توجد في الجنة إبل؟ وطمأنهم النبي أن في الجنة كل ما يصبو إليه الإنسان. ولم يقتصر النبي ﷺ على بث الطمأنينة في نفوس الأعراب فحسب، بل وجه النصح إلى رجل سأله عن الاعتماد على الله تعالى قائلا "اعقلها وتوكّل"، يعني أننا نعرف أن كل شيء بأمر الله، ولكن علينا أن نأخذ حذرنا، أن نربط ناقتنا ثم نعتمد على الله في حفظها. والإبل مع كل ما تتمتع به من خصال طيبة، مثل حمل الأثقال والسير لمسافات طويلة دون كلل، لها خاصة غريبة لا يعرفها الكثيرون خارج التراث العربي، تلك هي حبها

للموسيقى، ويمكن أن تستحث لتسير بسرعة لا تصدق إذا كان للحادي صوت جميل. يحكي أبو نصر السرّاج (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) عن أعرابي لديه تسع وتسعون ناقة انقصمت ظهورها من الإعياء بعد أن وصلت إلى البيت وعلى متونها حمولة ثقيلة، لأن أغنيات الحادي دفعتها إلى أن تسرع الخطى إلى الحد الذي جعلها تصل إلى مقصدها في نصف الزمن المعتاد.

والشعر الفارسي يشبّه العشاق بإبل تحمل الأثقال في رضى وسعادة عندما يغني الحادي أو يعزف على الناي، العشّاق إبل تسير وراء خطى المحبوب في إيقاعات راقصة. جلال الدين الرومي كعهدنا به دائما واسع الخيال في استخدامه لصور الإبل، كما أن الجمل الطويل القامة يشاهد حتى من فوق مئذنة، كذلك العاشق يبدو ظاهرا لا يستطيع لحبه إخفاءً، وينظر الرومي إلى الحب ذاته على أنه جمل فخور بنفسه، لا يستطيع أن يحشر نفسه داخل حظيرة للدجاج. البدن هو حظيرة الدجاج، والجمل الضخم يدمر كل شيء عندما يدخل تلك الحظيرة الضيقة.

تتحدث قصص التراث الشعبي عن التنافس بين الجمل والبقرة، كلاهما يفخر بأنه كان خادما مخلصا لله وللأنبياء منذ الماضي السحيق. ورد ذكر البقرة في القرآن الكريم بأنها تعطي "لبنا خالصا" ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (سورة النحل، الآية ٦٦)، كما تحتل البقرة مكانة خاصة إذ

سميت السورة الثانية في القرآن الكريم "سورة البقرة". ويحكى لنا المؤرخ الهندي المسلم بدايوني Badauni (ت ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م)، الذي كان يسجل الأحداث في قصر الإمبراطور أكبر، أنه في اجتماع بين العلماء المسلمين والهندوس نظّمه أكبر، علق أحد الحاضرين من الهندوس قائلا لا بد أن الله أحب البقرة حبا شديدا حتى أنه أطلق اسمها على أطول سورة في القرآن، وتعجب العلماء المسلمون كثيرا من تلك الملاحظة. بينما كان الهندوسي سعيدا برأيه أن البقرة، وهي حيوان مقدس عنده، قد نالت هذا التكريم الكبير في القرآن.

فيما عدا ذلك نادرا ما تذكر البقرة في الأدب، وإن كانت تمتدح لأنها تنتج اللبن والزيد، ولكن دعنا لا ننسى تلك الملاحظة الحكيمة للرومي عن التعليم:

إنك تضرب البقرة عندما ترفض أن تحمل النير
ولكن لا تضربها لأنها لا تنبت جناحين

لا يمكن أن يقهر أحد على أن يفعل أشياء لم تهيئه فطرته لها. ومن الخطأ أن نمتطي البقرة كأنها دابة للركوب، كما جاء في قصة صوفية قديمة. عندما اعتلى شخص ظهر بقرة سمعها الناس تغني: أنا لم أخلق لهذا الغرض.

ونأتي إلى الضأن، تذكر الشاة كحيوان نستمد منه اللبن، لكنها في الأساس الحيوان الذي يجسم النموذج المثالي للتضحية، مخلوق رقيق القلب

يصنع الناس من صوفه السجاد والثياب وغير ذلك من أشياء نافعة، بينما يفضل لحمه في الأضاحي.

المعزة بدورها يمكن أن تعطي شيئا من اللبن، ولكن ميزتها الحقيقية هي جمال الشكل، وكثيرا ما كانت لحية ذكر الماعز: التيس موضوعا للتشبيهات، مثلما يقول جلال الدين الرومي في شيء من المبالغة :

اللحية الطويلة لا تؤهل صاحبها لأن يكون قاضيا

وإلا لأصبح ذكر الماعز قاضيا للقضاة

والخنزير من بين الحيوانات المستأنسة في البلدان غير المسلمة، بينما يتباعد عنه المسلمون. وقيل إن الأشرار في يوم القيامة سيتحولون إلى خنازير. ونسج العطار على هذا القول ليحكي لنا عن طالب علم ترك سيده وانغمس في جميع أنواع الرذائل الدنيوية، ثم شوهد وقد تحول إلى خنزير يسير وراء سيده في الطرقات.

وجميع الحيوانات المستأنسة تعاني بشكل أو بآخر من خطر الحيوانات المفترسة. ابن آوى هو بطل حكايات "**كليلة ودمنة**"، واثنتان من بنات آوى تميزتا بالمكر وانتشرت قصصهما في جميع أنحاء العالم. وكثيرا ما تظهران كثعلبين. وتنتقل العديد من القصص من تراث إلى آخر. وربما تكون أشهر القصص قاطبة تلك التي تحكي عن ابن آوى أو الثعلب الذي تطلع

إلى السلطة وذهب إلى صباغ ليعطي نفسه لونا جديدا. وعندما خرج من محل الصباغة كان في لون أزرق براق ، وقدم نفسه إلى بنات آوى أو الثعالب الأخرى على أنه حاكم شديد البأس، على الآخرين أن يقدموا له الولاء والطاعة. ولكن الحيوانات سرعان ما اكتشفت أكاذيبه، وألقت به خارجا. وتحكي القصة التي ظهرت في بلاد السند عن ابن آوى أنه تسلق فروع شجرة شوكيّة قريبة من مورد ماء الشرب، وطلب من كل حيوان أن يعلن له الولاء قبل أن يشرب. وبينما أنشدت جميع الحيوانات أغنيات المديح، رفضت ماعز عجوز وأعلنت حقيقة المدعي، الذي أرغم عندئذ إلى أن يرجع عن خيلائه.

والذئب من الحيوانات الخطرة التي جاء ذكرها في القرآن، ولكن القرآن برأ ساحته، وكان من المفترض أن يكون الذئب أكل يوسف ولكنه في الحقيقة بريء من دمه ﴿ قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ (سورة يوسف، الآية ١٧). رغم أن إخوة يوسف في هذه السورة يبدون أكثر قسوة من الذئب، ظل الذئب تجسيدا للقسوة، أضف إلى ذلك أنه لا يمكن بحال تدريب الذئب. وتحتوى الأعمال الأدبية ذات المواعظ الأخلاقية على الكثير من القصص حول سلوك الذئب. كما جاء في بيت شعر فارسي:

لقد تربيت في بيتنا رغم ذلك أكلت خروفنا

مـن الـذي أنبـاك بـأن أبـاك كـان ذئـبــا؟

بل وحتى الذئب نفسه يؤمن برسالة النبي، كما نري حكايات أسطورية قديمة في كتاب "**دلائل النبوة**" لأبي نعيم الأصبهاني (ت٥١٧هـ/١١٢٣م).

وأقوى الأعداء قاطبة هو الأسد، ملك الوحوش، له في التراث مئات من الأسماء. والجميع يعرفون بيت المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

ولكن هؤلاء الذين يخشون الله لا يخشون من الأسد شيئا، كما توضح لنا العديد من القصص الطريفة. تعيش الأسود الأليفة بالقرب من بيوت أولياء الله، الذين يستطيعون امتطاء ظهر الأسد. ونصادف قصة جميلة عن اللبؤة التي اقتربت من صوفي ورع وأظهرت له أن بها شوكة في برثنها. وأخرج الصوفي الشوكة من برثن اللبؤة، وعادت اللبؤة الشاكرة في وقت لاحق ومعها أشبالها لتحضر لصديقها الصوفي شيئا من الطعام. ويرى الرومي أن الحب أسد أسود اللون يؤذي المحبوب ويستولي عليه. ويشبّه ما يتمتع به الأسد من جمال مشع وقوة، بإشعاع نور الإيمان الحقيقي. ويبدو الأسد في الظاهر شديد الخطورة يصعب الاقتراب منه، ولكنه يصبح رقيقا عطوفا عندما يقترب منه مؤمن مخلص الإيمان. أهمية الأسد كنموذج للقوة تبدو واضحة في إطلاق العديد من أسماء الأسد على الرجال، وكما أشرنا سلفا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه له عدد من الألقاب تصفه بأنه "أسد الله". كذلك يحب الفنانون المسلمون، خاصة الشيعة منهم، أن يكتبوا المدائح في

علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويصورروه في صورة أسد، والعديد من مثل هذه الأسود المرسومة بالخطوط الزخرفية تحتوى على الابتهال الشيعي "نادِ عليا مظهر العجائب". ونجد العديد من القصص الطريفة عن الأسد، منها قصة من شمال أفريقيا. يقال إن شيخا صوفيا مغرورا ركب على ظهر أسده وذهب ليزور شيخا آخر يعيش في مكان ما على جبال الأطلس، وعندما وصل إلى مقصده طلب مضيفه منه أن يربط أسده في وتد في حظيرة البقر، فانتابه الرعب بل أصبح أشد رعبا عندما رأى مضيفه مستمتعا بصحبة فتيات ومغنيات جميلات، وراوده الشك في المرتبة الروحية لمضيفه، وعندما ترك البيت في الصباح التالي وجد أن البقرة قد أكلت الأسد.

في كثير من الأحيان يظهر الأسد - كما هو الحال في واقع الأمر - عدواً للغزالة. ودائما تمثل الغزالة الخجول السريعة الحركة المرأة المحبوبة، جميلة واسعة العينين، كما نرى من الأسماء التي يسمي بها العرب بناتهم. ويمكن أن تمثل الغزالة ذلك المخلوق الروحي الذي يرعى في المروج المليئة بالزهور العطرة، ولا يخالط صنوف الحيوانات الأخرى. ويصف الرومي آلام غزالة رقيقة صيدت ووضعت في حظيرة حمار، حيث كانت محلا للكراهية بسبب شكلها الجميل وعجزها عن أن تأكل العلف الخشن، وسخر منها الحمار ووصفها بألفاظ بذيئة. والغزالة هنا مثال آخر للروح السجينة في عالم المادة، بين أولئك الجاهلين بعالم وراء عالمهم المادي. ومن بين قصص

الغزال تلك القصة الجميلة عن النبي ﷺ وهو ينقذ غزالا. بينما كان النبي ﷺ في جولة شاهد غزالة وقعت في كمين، وتحدث إلى الغزالة التي أخبرته عن طفليها اللذين ينتظران عودتها بالطعام، ولكن كيف تستطيع الآن أن تصل إليهما؟ ساعدها النبي ﷺ ففك أسرها، ووعدها بأن يبقى في مكانها حتى تنتهي من أداء واجباتها نحو صغيريها، وبينما كان النبي ﷺ واقفا هناك وصل الصائد، وقد خاب أمله حين وجد فريسته هربت، ويقف مكانها رجل (ولم يعرف أن الواقف هو النبي ﷺ)، عندما عادت الغزالة ومعها صغيراها، تأثر الصائد بهذا المشهد، ولم يطلق سراح الغزالة فحسب بل دخل في الإسلام. هذه القصة مثار إعجاب وحب كبيرين، حتى أننا نجد عنها في لغة السند وحدها ثلاث عشرة قصيدة طويلة.

ولا ننسى قصة أخرى رائعة عن حيوان قريب من الغزال، ذلك هو ظبي المسك، الذي يعيش في آسيا الوسطى. جاء ذات يوم إلى آدم يطيب خاطره بعد أن طرد من الجنة، وربت آدم على ظهره في عطف وحنان، وهذا هو الذي أدي إلى ظهور عطر المسك زكي الرائحة، وتعجبت سائر الظباء مما حدث، وبعد أن عرفت كيف حصل على هذا العطر ذهبوا بدورهم إلى آدم، ولكن لم يتحقق لهم المراد، وقيل لهم إن الظبي الأول جاء إلى آدم مدفوعا بالحب والعطف بينما هم ليسوا بأكثر من مقلدين، والتقليد لا يؤتي ثمارا.

وآخر الحيوانات الضخمة التي نصادفها في "حديقة الحيوانات الروحية" هو الفيل، الذي جاء ذكره في سورة الفيل. من الناحية التاريخية كان الفيل معروفا في الشرق الأوسط، واستخدم في الحرب في بلاد فارس، كما استخدم في حصار أبرهة لمدينة مكة المكرمة في عام الفيل. ومن ثم يبدو الفيل للوهلة الأولى كحيوان شديد الخطر، وحش أسود يمكن أن يدمر كل ما يعترض طريقه. يشبه شعراء فارس السحب السوداء المتصاعدة بالفيلة. ويبدو أن الفيلة جيء بها على فترات متباعدة إلى البلاد الإسلامية (ربما من إفريقيا أكثر مما جاءت من الهند)، ومن المعروف في التاريخ الأوروبي أن الخليفة العباسي هارون الرشيد (حكم من عام١٧٠هـ/ ٧٨٦م إلى١٩٣ هـ/ ٨٠٩ م) أرسل فيلا إلى الإمبراطور الألماني شارلمان Charlemagne في أكس لي بين (آخن)،Aix-les-Bains (Aachen) وطبقا لحوليات التاريخ الألماني يدعى هذا الفيل جعفر.

كذلك جيء بالفيلة من الهند، والفيل الذي كان موضوعا لواحدة من أشهر القصص في الأدب الإسلامي فيل من الهند، تلك هي قصة العميان والفيل. وهي في الأصل قصة هندية اقتبسها الشاعر الفارسي سنائي في ديوانه "**حديقة الحقيقة**"، وأخذها عنه جلال الدين الرومي وأدخلها ضمن **المثنوي**. أعيد ذكر تلك القصة في مصادر شرقية منذ ذلك الحين وأصبحت معروفة كذلك في أوروبا، إلى حد أننا نجد في إحدى الحدائق العامة في بون تمثالا لفيل يحيط به مجموعة من العميان. تحكي القصة أن

العميان أرادوا أن يعرفوا شكل الفيل، ولما كانوا لا يستطيعون رؤيته اعتمدوا على حاسة اللمس. ولم يستطع أحد منهم أن يلمس الفيل بأكمله، لذلك وصف كل منهم الجزء الذي لمسته يده. الفيل مثل الصخرة إذا لمست جسمه، مروحة إذا لمست أذنيه، خرطوم إذا لمست خرطومه، عمود إذا لمست ساقه، وهكذا دواليك، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يتخيل شكل الفيل بكامله. وقصة الفيل والعميان خير مثال على عجز الإنسان عن أن يدرك طبيعة الله إدراكا كاملا. لا نستطيع أن نتحدث إلا عن الجزء الذي لمسته يدنا الروحية. لذلك كل إنسان له فكرة مختلفة عن الله ونحن نسعى جاهدين إلى إدراكه.

ولا يزال هناك جانب عن الفيل جديراً بالذكر. كثيرا ما يكون للفيل أهمية في بعض البلدان لأنه من الدواب التي تحمل الأثقال. وقد ابتكر شعراء الفرس صورة خيالية جميلة، هي "حلم الفيل". يحلم الفيل بموطنه الأصلي في الهند، ويتذكر بيته وأسرته وأصدقاءه، في نوبة غضب عارمة يخلع عن نفسه القيود والأغلال، ويجري مسرعا إلى الهند ليلتقي مع الذين يحبهم. عبر رديارد كبلنج Rudyard Kipling عن هذه القصة في قصيدة جميلة بعنوان "حلم الفيل" . وعندما يضرب مثل " الفيل يحلم ببلاد الهند" ، معناه أن شخصا تذكر فجأة وطنه المفقود وسعادته التي اعتلاها غبار النسيان. ويبدو أن هذا التعبير ظهر في بلاد فارس حوالي عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠م، وظل شائعا طوال القرون اللاحقة. هنا كذلك نرى الإشارة إلى وطن الروح: عالم

الغيب، الذي يسهل أن ننساه في عالم المادة، مثلما قد ينسى الصقر سيده وينسى الطاووس الحديقة موطنه. والفيل هو أحد الكائنات الجميلة، التي تمثل الروح عندما تستيقظ من غفلة النوم لتعود إلى بيتها الأبدي.

ووفقا للتراث الشرقي يمكن أن يصاب الفيل بجروح، بل ربما قتله الكركدن: وحيد القرن. في النقوش الفارسية على الحجر والخزف بدءا من القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين نرى وحيد القرن يحمل على قرنه فيلا، الرومي في كتاباته المعاصرة لتلك الأعمال الفنية يشبه الحب بوحيد القرن، الذي قد يحمل على قرنه أقوى الفيلة. ألهم وحيد القرن، كما يظهر في التراث المسيحي- على قدر علمي- قصيدة عربية وحيدة، تلك هي قصيدة " بضعة أسئلة لأطرحها على الكركدن"[(1)] للشاعر توفيق صايغ (ت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) التي يقول فيها:

"قدتهم وحيدا مثل القرن في وسط رأسك"

ويشكل الحيوان جزءا هاما من التراث الإسلامي. ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر مما ورد في الكتاب المقدّس، ويمكن أن يكون رموزا لحقائق روحية وتحذيرا ونصحا لأولئك الذين يفقهون. ونعلم من القصص التي قيلت عن الحيوان على مر التاريخ، مثلما نعلم من العهد القديم، أنه في النهاية سيرقد الأسد والحمل جنبا إلى جنب ولن تكون بينهما عداوة.

---

(١) قصيدة وردت في ديوان: معلقة توفيق الصائغ، انظر: توفيق الصائغ، **الأعمال الكاملة**، المجموعات الشعرية، رياض الريس للكتب، لندن، ١٩٩٠م، ص ص ٢٥١-٢٧٧.

ووفقا لقصص الصالحين تسير بعض الحيوانات على نهج الشريعة. ونجد قصصا مؤثرة عن نمل أو طيور تصوم في شهر رمضان أو في يوم عاشوراء، ويقال إن الحيوانات تحيي بعضها بعضا أيام الجمعة بكلمة "سلام".

ويبدو من المفيد أن نتذكر دور الحيوان هذا عندما ننسى أحيانا دورنا البشري. ويمكننا أن نرجع إلى حكايات الحيوانات، عن حبها وشجاعتها، ونستلهم شيئا من الطريقة التي استخدم بها العلماء والشعراء في عصور خالية قصص الحيوان، ليبينوا لنا أننا جميعا تحت رحمة الخالق وعنايته. وكما جاء في سورة هود ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ (الآية ٦).

Islam and The Wonders of Creation: The Animal Kingdom

Annemarie Schimmel



AL-FURQĀN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

LONDON (1424 / 2003)

Islam and The Wonders of Creation: The Animal Kingdom

Annemarie Schimmel

Al-Furqān Publications: No. 81

Islam and The Wonders of Creation: The Animal Kingdom

Annemarie Schimmel



AL-FURQĀN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

LONDON (1424 / 2003)

Al-Furqān Publications: No. 81
Al-Furqān Lecture Series: No. 5



Al-Furqān Islamic Heritage Foundation
Eagle House
High Street
Wimbledon
London SW19 5EF U.K.
Tel: + 44 208 944 1233
Fax: + 44 208 944 1633
E-mail: info@al-furqan.com
http://www.al-furqan.com

ISBN 1 873992 81 5

All rights reserved
Opinions expressed in this book are those of the author and do not necessarily reflect the views of the Foundation.

Cover Picture: Noah's Ark, indian painting
of the early 17th century, Akbar period.

ISLAM AND THE WONDERS OF CREATION: THE ANIMAL KINGDOM

ANNEMARIE SCHIMMEL

> Should I not use an example as I like;
> As God gives us an example of life by
> mentioning the gnat?

So writes the German poet Johann Wolfgang von Goethe in his *West-Östlicher Divan*, a book of poetry inspired by the Persian poet Ḥāfiẓ-i Shirāzī and by Islamic culture in general. He is referring to *Sūrah al-Baqarah* (2), verse 26: 'Verily God is not ashamed to speak of the gnat'.

This points to the role of animals in the Qur'ān, where they are mentioned time and again in different ways. They are important in the Islamic tradition because as *Sūrah Hūd* (11), verse 56 states: 'There is no animal which He does not keep by its forelock', and mankind is taught that everything created praises God and acknowledges His power. It is therefore not surprising that animals play a very considerable role in all aspects of Islamic culture, and in many cases pre-Islamic customs and ideas concerning animals were absorbed and refined in Islamic times.

Everyone who studies Arabic knows that some important animals, such as the lion or the horse, and even smaller creatures like the cat have several different names, as we know from the story of a Bedouin who found a cat – a creature he had never seen before – and tried to sell it as a rarity. Since everybody he met called the animal by a different name he presumed it must be very precious, and he was deeply disappointed when he got nothing for it – 'So many names and no value'.

Stories of this kind are often recounted. But we should remember that animal names were also used as proper names for people, and there is an abundance of words for 'lion' – *asad, ghaḍanfar* and others – in the Arabic, Persian (*shīr*) and Turkish (*arslān*) traditions, not to mention all the other animals. It was, in fact, a Bedouin custom to call a newborn boy by the name of an object seen immediately after his birth, so *qunfudh* (hedgehog) and similar, even more lowly, names can be found in ancient Arabic sources. The names of birds of prey, such as *ṣaqar* (falcon) or *nasr* (eagle) were common and were especially loved by the Turks of Central Asia, for example, *sunghur, ṭūghān,* and *tūqān.* Furthermore, names of animals could be used as laqab (a distinguishing name): 'Alī ibn Abī Ṭālib was called *asad Allah* (God's lion), an appellation also translated into Persian (*shīr-e khudā*) and other languages. Sufi masters might be called by similar names, such as 'Abd al-Qādir al-Jīlānī who is known as *al-bāz al-ashhab* (the

white falcon) or Lal Shahbaz Qalandar in Sehwan in the Indus valley, known as the 'red falcon'.

Arabic and Persian literature boast a great number of animal fables among which *Kalīlah wa Dimnah*, translated into Arabic by Ibn al-Muqaffa' in the 8th century AD, made its way into medieval Europe as well. It was rewritten several times in the Islamic tradition, often decorated with interesting pictures.

But *Kalīlah wa Dimnah* was not the only book of animal fables, because the general reader and the authors who catered for his taste were not the only ones interested in animal stories – the Sufis took over the theme as well. At about the same time in the late 12th century AD, two authors from the Persian world were writing animal stories. One was Shihāb al-Dīn al-Suhrawardī, the Shaykh al-Ishrāq, a master of illumination, (who was killed in Aleppo in AD 1191/587 H at the age of 38 and should not be confused with Suhrawardī, the founder of the Suhrawardiyya *ṭarīqah*). Suhrawardī's short stories in Persian tell of various animals. He speaks of the peacock who, hidden under a basket, had forgotten his home in the king's garden; of the lizard imprisoned by bats which had decided to give him the harshest possible punishment – namely, to throw him out into the bright sunlight. This would be a punishment for a bat, night creatures as it is, but was happiness for the sun-loving lizard (in the same way that materialistic men cannot understand the beauty

of the spiritual life). There are many other parables of the mystical path.

In north-eastern Iran at about the same time, Farīd al-Dīn 'Attār (d. AD 1229/627 H) composed, among other important works, his masterpiece, the epic poem *Manṭiq al-Ṭayr*, ('The Discourses of the Birds'). Here he describes in wonderful images the soul-birds' way to the mysterious Sīmurgh at the end of the world, which they find after wandering through seven valleys. From time immemorial this bird has been the symbol of the soul imprisoned in the earthly body.

There are, however, also more matter-of-fact stories. While the favourite animals of the early Arabic tradition were the swift horse, the powerful camel, the desert animals and the hunting birds, the shifting of the centre of civilisation to Baghdad in the time of the early Abbasids led to new developments in literature as well. The theme of hunting was refined by the poets of the *badī'* style, and animals were kept as pets in the houses of the rich. Small wonder then that there are dirges for a beloved cat or a fine dog in Abbasid poetry. At the same time, scholarly essays on veterinary medicine and related topics appeared, so that books about the treatment of falcons and horses became rather important at court. It should be mentioned in passing that the care bestowed by later Muslim emperors on their hunting animals and their private zoos is best portrayed in the chronicles of the great Mughals of India in the 16th to 18th centuries. The elephants were washed with warm

water, and some of them even had an allowance of several pints of wine daily!

From the early 9th century onwards Arabic authors began to compose books on animals. The first author in the genre was al-Jāḥiẓ whose *Kitāb al-Ḥayawān* set the model for this type of literature. Ibn Baḥtīshū composed the *Manāfi' al-Ḥayawān*, while al-Qazwīnī (d. AD 1283/682 H) dwelled upon the strange aspects of certain animals. The Egyptian scholar al-Damīrī (d. AD 1405/817 H) has given us a veritable treasure trove of information in the *Kitāb Ḥayat al-Ḥayawān*, a kind of encyclopaedia where the reader finds everything from zoological to medical, poetical to juridical information about animals. One might not, however, be tempted to try the medical advice he gives for a cough: 'Take the brains of a young gazelle, mix them with the fat of some mice, boil the mixture and add cumin seed broth...'

Animals also served philosophers with examples for their theories. Perhaps the most fascinating book in this area is the treatise of the *Ikhwān al-Ṣafā* or the creation and species of animals (treatise 22), including a chapter on enmity between men and djinns, of which there is a fine English translation by Lennard Goodmann and an equally good translation into German by Alma Giese. The essence of this beautifully written book is that although the animals have marvellous talents and abilities, the human being, who is outwardly weaker than the animal, is superior to

them for he is the *ḥayawan nāṭiq* (the 'speaking animal'), endowed with logical thinking. Most importantly, God offered humans 'trust' *amānah* which heaven and earth did not accept but 'man took it'

> Lo! We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills, but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it. Lo! he hath proved a tyrant and a fool. (Sūrah *Al-Aḥzāb* (33) verse 72).

Animals play a considerable role in the interpretation of dreams and, although each of them has a special role, the general rule is that a dream of mastering a dirty or cruel animal means mastering one's bad qualities.

It would be surprising if there were not many proverbs concerning animals. They occur in various contexts and are often used in everyday speech as well as in literature. The Turkish poet Ẓiyā Pasha expresses a well-known thought thus:

> Can a uniform bestow nobility on a lowborn person?
> After all, a donkey remains a donkey even if you give him a gold-embroidered saddle!

Just as the English proverb proclaims:

> An ape is an ape, a varlet a varlet –
> They may be clad in silk or in scarlet.

Comparisons with animals are at least as frequent as they are in western languages. In the *Maqāmāt al-Ḥarīrī* the reader can enjoy some very witty – and also coarse – ones, among which 'uglier than a monkey' is still comparatively harmless.

Often folktales offer the listener *al-munāẓarah*, the striving to surpass another animal. Which is more important - the camel, the cow, the sheep or the cockerel? Or, indeed, which animal can claim to be the most senior? This type of play was also used in literary circles, certainly up to the time of Amīn al-Rīhānī (d. AD 1940/1358 H).

Animals become even more prominent in Sufi legend. A common theme throughout the Muslim world is that of an animal sacrificing itself for the sake of its master, for instance, the cat of the Indian Sufi Ashraf Jahāngīr (14th century) which jumped into a pot of boiling milk because she had seen a poisonous snake at the bottom of the pot and wanted to save the Sufis who were about to drink the milk. Animals, particularly cats, are models of spiritual awareness and often warn their masters who can generally tame ferocious animals with a look. Some Sufis even lived in the company of animals. It is said that Sahl at-Tustarī (d. AD 896/282 H), one of the great early masters of the mystical path, had built close to his dwelling place a 'house for lions' (*bayt al-sibā'*), where wild animals lived peacefully together. Sufis would teach the animals, which

sometimes served them faithfully; such stories abound in medieval hagiographies.

The story about Rābiʿah al-ʿAddawiyyah (d. AD 725/135 H) may well be true: animals were said not to flee from her presence as there was no smell of animal fat on her breath. She was a strict vegetarian, as apparently quite a few Sufis were. One should respect animals as they are God's creatures, as is clear from a story about the famous commentator of the Qur'ān, al-Zamakhsharī (d. AD 1143/537 H). During one of his journeys he lost a foot and when asked how it happened he replied that as a young boy he had had a bird which became stuck in a hole in a wall, and when he tried to take it out by pulling the string that was wound around its foot, the foot was broken and became detached from the bird. His mother thereupon cursed him and hoped that he might lose his own foot – which indeed came to happen.

Animals are God's creatures and one should be careful not to injure them, even though some people, such as al-Maʿarrī think that they will be compensated in the hereafter for all the pain they are made to endure on earth. It is understandable that for this reason the Prophet prohibited all animal fights such as cock fights and ram fights. This injunction was not, however, taken very seriously and animal fights remained a popular sport. They were practised in a grand way during Mughal times; miniature paintings depict fights between elephants or camels in great detail.

Let us turn now to individual animals and start with the lowest group – insects. Some insects, particularly locusts, are mentioned in the Qur'ān (*Sūrah al-A'rāf* (7), verse 133) as when plagues were sent to Egypt to punish its inhabitants.

> So We sent against them the flood and the locusts and the vermin and the frogs and the blood – a succession of clear signs. But they were arrogant and became a guilty folk.

The gnat, the insect with which we began this essay, is for all its apparent unimportance a symbol of the weak that can, with God's permission, act as an avenger, a powerful enemy which we should not underestimate. Did not a tiny gnat kill the mighty tyrant Nimrod by creeping into his nostrils and destroying his brains? So God punishes the haughty by means of the tiniest creature.

We can, however, see the gnat in a different light in a poem written in Urdu by an Indian poet singing on a hot night:

> Who comes in every night close to my bed?
> To wake me up with love songs in my bed?
> Is it my friend, intending this or that?
> No, it's a gnat !

Even more unpleasant is the flea, though it is said that in reply to some Muslims complaining about this creature that frequently molested them, the Prophet

remarked: 'At least he wakes you up for your prayers!' Scholars have discussed the problem of whether fleas or lice may be killed during the pilgrimage, and one of them, al-Ghumrī, who lived in Cairo in the 15th century, composed a treatise about 'fleas and lice in garments and their influence on ritual purity'.

The fly has been liked and disliked in equal measure. Do they not go wherever they please? Not in vain does the popular expression speak of someone being 'prouder than a fly'. It is said that the Abbasid caliph, Ma'mūn, son of Ḥarūn, was complaining about the number of flies that surrounded him all the time and half in despair asked the great lawyer al-Shāfi'ī, why God created the fly. Al-Shāfi'ī replied that it was created to demonstrate to potentates that there was something that all their power could not overcome. And Ma'mūn accepted his argument. In the Persian tradition flies are usually connected with sweets, and Ḥāfiẓ claims that it is not surprising when admirers throng at a sweetheart's door, for 'where there is sugar there are flies".

Among the insects mentioned in the Qur'ān is the spider (*Sūrah al- 'Ankabūt* (29), verse 41). 'Verily the frailest house is that of the spider, if only they knew it'. The remark at the end may indicate that the seemingly fragile thread is in reality extremely strong. While the spider's web was generally held to be something very weak, one of the beautiful stories in Islamic tradition is that of the spider covering with its

web the door of the cave where the Prophet and Abū Bakr were spending the night on their way to Yathrib. Thus the spider can be seen as a symbol of God's inexplicable activity. In a fine poem by the Persian poetess Parvin I'tiṣāmī the restless spider is called 'God's weaver'. However, generally both people and poets are rather critical of the spider. Readers are warned not to indulge in fruitless activity and restless worldly undertakings, for:

> Worldly striving comes through extended breath,
> Just as the spider weaves a web from its saliva.

One of the most frequently cited small creatures is the ant. It is mentioned in a lovely account about Sulaymān, the prophet-king (*Sūrah al-Naml* (27), verse 18).

> Till, when they reached the Valley of the Ants, an ant exclaimed: O ants! Enter your dwellings lest Solomon and his armies crush you, unperceiving.

The conversation of the mighty prophet with the tiny, modest creature inspired many poets with stories, allusions and parables. Many of them would compare themselves to a minute, weak ant that would still hope to be accepted into the presence of the ruler or the beloved. The ant brought to Sulaymān a lotus grain or, according to other traditions, a locust's leg, an

expression which came to mean someone bringing a worthless little gift to a superior person, a gift outwardly small but well intended, for a locust's leg is heavy for a minute ant. Damīrī therefore claims that the ant is the most grateful creature. And furthermore, despite its small body, the ant is often called 'strong' or 'brave', because the load it can carry is much larger than itself. It is said that a pious man blessed a ruler with the wish: 'May you be as powerful as an ant' and then explained his apparently meaningless blessing to the confused recipient.

While on the whole the ant is considered a good, hardworking and strong creature, some writers have seen it as niggardly and greedy because it hoards food underground to survive the winter. Stories are quite common in Persian poetry comparing this stingy little miser with nightingales or other song-birds which have spent summer days singing happily and visiting gardens for their beauty.

Whereas the ant can be regarded as an interesting animal which is both good and unpleasant, one insect is praised highly in the Qur'ān: the bee. The bee appears in *Sūrah al-Naḥl* (16), verse 68 as the recipient of Divine inspiration.

> And thy Lord inspired the bee, saying: Choose thou habitations in the hills and in the trees and in that which they thatch.

The word *waḥy*, which is usually restricted to the inspiration granted by God to the prophets, gives the bee a particular place in the animal kingdom. It is not only the Qur'ānic remark that the drink the bee prepares – honey – contains medicinal properties for people *Sūrah al-Naḥl* (16), verse 69.

> There cometh forth from their bellies a drink divers of hues, wherein is healing for mankind.

but also the Prophet's love of honey that has led the pious to invent lovely stories and poems about the bee. Bees, so it is said, helped 'Alī ibn Abī Ṭālib in battle, and the queen bee, *ya'sūb* (which was regarded not as a female bee but as a male ruler and lord) played a role in the description of 'Alī's strength and leadership in wartime. (Incidentally, in Europe centuries passed before the queen bee was recognised as female – as the German word 'der Weisel' with its masculine article testifies.)

One of the loveliest legends woven around the bee, which was known in Anatolia in the early 14th century as it forms the topic of 18th century folk ballads in Sind, is the story of the discovery of honey. One day, so the folk poets tell us, the Prophet had guests, but he had nothing to put on the bread – no sweets, no butter, nothing. Suddenly a bee appeared and offered to help, asking the Prophet to send one of his friends with her. 'Alī accompanied her, and they returned with a large

lump of honey that they had taken from a tree. They tasted the strange sap and, lo and behold, it was wondrously sweet. The bee explained that when the bees' pollen was collected in the fields the bees constantly murmured the *ṣalawāt-i sharīfah*, the blessings over the Prophet, and thus the honey became sweet. Yūnus Emre, the Anatolian bard, recommended that people follow this custom of blessing the Prophet at all times so that they too become sweet.

Honey appears as an important medicine, sometimes being mixed with vinegar. The relationship between wax and honey is often alluded to: in a Persian medieval poem the candle weeps as it is separated from the honey which it formerly embraced. It is small wonder that the spiritual leader is considered to be the one who, like a bee, gives spiritual sweetness to his disciples.

Lavish as praise is for the bee, its relative the wasp seems to be one of the most hated creatures in the world. Poetry, especially Persian poetry, contains many tales in which the wasp is compared to a tyrant or a most dangerous enemy. When a man does not listen to his wife's warning to remove a wasps' nest from the roof he is later punished by the stings of the insects. He should have killed his enemies immediately. Saʿadī (d. AD 1292/691 H), who tells this story, writes elsewhere:

> True, a tyrant is just like a wasp,
> Keeps you constantly in fear and dread.

Wait until he's overcome one day –
Then you'll put your foot upon his head.

There are still more insects, among them the moth and butterfly. The moth seems confused, circling around aimlessly and without proper intention, and Abū Ḥāmid al-Ghazzālī (d. AD 1111/514 H) sees it, following the Qur'ānic hint, as an unlucky, erring creature. However, the moth has also been likened to the true lover when it casts itself into the flames of a candle. This story is famous in Germany as Goethe used the image of the moth that lovingly gives up its life as it is united with the beloved flame of the candle; his poem, in the West-Östlicher Divan, describes this death in life under the title Selige Sehnsucht, 'Blessed Longing'. Goethe had found the image in a translation by the Austrian orientalist Joseph von Hammer-Purgstall of the poetry of Ḥāfiẓ the Persian poet (d. AD 1389/791 H) who had used it, as had hundreds of poets before him in the Persian tradition. But the origin of the story is contained in a small book by the Arab mystic al-Ḥusayn ibn Manṣūr al-Ḥallāj, executed in AD 922/309H in Baghdad. Called the 'martyr of Divine love', he described the fate of the loving moth in his *Kitāb al-Ṭawāsīn* which was probably written in prison and was published by Louis Massignon in 1913. In beautiful rhymed prose he describes how the moth circles around the candle and then returns to tell the others about his experience. Ḥallāj goes on to explain that the candle's

light is the 'knowledge of Reality, its heat the 'reality of Reality', and the union with it the True Reality. Longing to reach the True Reality he casts himself into the flame: he does not speak again and never returns to outward forms, to created beings.

Thus, for almost every poet in the Persian–Turkish and Indo-Muslim traditions, the moth became the symbol of the human soul which longs for union with the Divine beloved, a very fitting symbol, for the butterfly was a symbol of the soul for the ancient Greeks too. As an 18th century Indian poet wrote:

> Love is innate in a true lover's heart:
> The moth learns not from others how to burn!

Iqbāl, who liked to use traditional symbols while giving them a new meaning, compared the moth to the bookworm. The poor bookworm is very learned: he has his nest in the old manuscripts of al-Fārābī and Avicenna but he has never experienced the fire of love, and the 'half-burnt butterfly' teaches the poor professorial bookworm how to cast itself into the flames and so live by dying...

Yet not even the butterfly is Iqbāl's ideal insect. He prefers the firefly, for the firefly radiates its own light: it does not need external light as the moth does, and so it represents the true man of God who carries Divine fire in himself. When one has seen in former years thousands of fireflies filling the streets of Lahore along the canal one understands that Iqbāl, who lived in

Lahore, was inspired by this sight to single out the firefly from among other insects.

There are still other animals that should be mentioned here before passing on to birds. One is the salamander which, according to oriental belief, lives in the fire and enjoys the heat. Strangely, this animal is not considered to be a creeping animal but rather a bird, murghe samandar, and late mannerist poets of the Indian subcontinent such as Ghalib even speak of the feathers of this creature!

Other reptiles occur only rarely. For instance, I have encountered frogs only in Jalāl al-Dīn Rūmī's *Mathnawī* and Sindhi folk poetry. Snakes, of course, can boast Qur'ānic tradition: did not the sorcerers' rods turn into serpents that were swallowed by Moses's rod? Tradition also tells us that Iblis and Diabolos entered Paradise to seduce Adam and Eve by assuming the form of a tiny snake that the peacock carried into the garden of Paradise. Thus, the snake is, as in the western tradition, the embodiment of evil.

The lizard, on the other hand, is usually a positive animal. Legend tells us that the green lizard acknowledged and praised the Prophet, hence he is called mjusi mumini, 'believing lizard' in Swahili. Only the black lizard is regarded in a bad light; in legend the green species is usually seen positively.

As often as insects and other 'lowly' animals are mentioned in literature, it is birds that are the favourite

animals of poets and thinkers. We have already mentioned the concept of the soul-bird, known from antiquity and apparently common to many religious traditions: *Sūrah al-Naml* (27) credits Sulaymān with knowledge of 'the language of the birds', *manṭiq al-ṭayr.* This expression was subsequently borrowed by Farīd al-Dīn 'Attār for his masterful allegory of the pilgrimage of the birds. 'Attār may also have been influenced more or less directly by Ghazzālī's 'Treatise of the Birds', '*Risālah al-Ṭayr*'. The motif of the soul-bird was used by a contemporary of al-Ghazzālī but in a somewhat different way. He was the poet and mystic Abū al-Majd Majdūd al-Sanā'ī, known as the author of the first Persian Mathnawi on religious themes, the *Ḥadīqat al-Ḥaqīqah,* composed in Ghazni in present-day Afghanistan. Al-Sanā'ī, (d. AD 1131/525 H) composed a lengthy qaṣīdah called Tasbīḥ al-Ṭuyūr, in which he 'translated' the different voices of the birds into human phrases. This poem is deserving of a special study by an ornithologist-cum-philologist. Even a superficial reading of this rather difficult Persian poem shows the importance birds have in the religious cosmos of Persian writers. This importance is understandable as the Qur'ān explicitly mentions the birds among all those creatures which praise the Lord (*Sūrah al-Nūr* (24), verse 41):

> Seest thou not that it is Allah Whose praises all beings in the heavens and on earth do celebrate, and the birds (of the air) with wings outspread?

> Each one knows its own (mode of) prayer and praise. And Allah knows well all that they do.

In *Sūrah al-An'ām* (6), verse 38 birds are compared to people. This ties in with the idea of the soul-bird which is imprisoned in the body as though in a cage. As has been said time and again, in the same way as it is a pious act to free birds from their cages, the soul awaits the happy moment when it is rescued from the bodily prison. A lovely poem from the Middle Ages has often been cited in Arabic religious texts:

> Tell my brethren who see me dead:
> I am not this dead person, by God!
> I am a little bird, and this is my cage
> From which I fled and which is empty now ...

Children liked to play with the birds they caught and put into cages and they apparently did not treat them very carefully (as we have already seen in the story of Zamakhsharī). A common comparison then is that of the lover to a bird in a child's hand, a child that molests him without caring for his feelings.

Certain birds play a particularly important role in literature. In the Persian and Turkish tradition, as in earlier western poetry, it is the nightingale. One of the most charming poems by the medieval Turkish minstrel Yūnus Emre (d. AD 1321/720 H) describes the bird's complaints, and a recurring line asks:

> 'Why do ye wail, ye nightingale!'

The nightingale is the soul-bird par excellence, the embodiment of eternal love and longing. There is barely a Persian or Turkish love poem in which the combination of the 'rose' (eternal beauty) and the 'nightingale' has not been used, a combination which is made easier by the sound of the words – gul 'rose' and bulbul 'nightingale'. (The Turkish pronunciations are gül and bülbül.) Persian poets went so far as to imagine that the rose-bud might be the heart of the weeping nightingale:

> Oh bud, were you the heart of the weeping nightingale?

Can one describe the radiant beauty of the rose? Jalāl al-Dīn Rūmī thinks that it is impossible – Divine beauty cannot be described. One should rather describe the nightingale's eternal longing:

> For heaven's sake – don't talk about the rose –
> Talk about the nightingale who is separated from the rose!

In this connection it seems almost logical – at least in poetical terms – that the dew drops shimmering on the leaves in the garden in early morning are 'the tears of the nightingale' who, though she sings her never-ending melodies of unfulfilled longing, weeps at the end of yet another night of hopelessness.

The nightingale is the lover, so it is the bird beloved of lovers all over the world, and one of its names in Persian, hazār, can also be understood as

'thousand', for its love song resounds thousands of times in front of the hundred-petalled rose (the centifolia).

There are other birds which also have lovely voices but are mentioned less frequently in literature. One of them is the blackbird, shahrūr, who reminded some writers of a preacher reciting pious words from the pulpit, in this case the tree.

In both the Arabic and Persian traditions we find various names for the falcon or hawk, and there are many allusions to the education and training of the proud bird. Falconry was and still is a favourite pastime in the Middle East, and we should remember that one of the important works in the European Middle Ages was an illuminated treatise about '*The Art of Hunting with Falcons*', composed by the German emperor Frederic II who lived in Sicily and was noted for his cordial relations with Muslims and his love of Islamic culture. The falcon is also among the favourite birds in Persian mystical writings, and in a fine pun poets have claimed that this bird, called in Persian bāz, received his name because he 'comes back' bāz āyad to the fist of his master. This idea of the faithful bird, always longing for his master's hand, forms the basis of the poetical images that surround these birds. The mystics saw the falcon as a soul-bird, an embodiment of the 'soul being incited to evil' al-nafs al-ammārah, which by long and strict training is transformed into the nafs muṭma'innah and is then called back to its master, as *Sūrah al-Fajr*

(89), verses 27–28, states: 'But ah! Thou soul at peace! Return unto thy Lord, content in His good pleasure!'. Seen as a soul-bird, the falcon became the subject of stories and fables, particularly in the tales of Shihāb al-Dīn al-Suhrawardī's Shaykh al-Ishrāq. Of course, it is ubiquitous in the poetry of 'Attār, and some of the most beautiful stories about the falcon are found in Jalāl al-Dīn Rūmī's work. Among them is the touching story of a precious white falcon which fell into the hands of an old crone who did not know his worth, cut his wings and claws, and tried to make him drink noodle soup! When he refused to drink the soup she poured the boiling hot soup over his head, and he remembered the kindness of his master for whom he longed even more. This is a nice allegory of the soul that falls into the material world where nobody knows how precious it is and where it has to suffer from the hands of the stupid who try to treat it in a materialistic fashion.

The greatest admirer of the falcon as a symbol for the true believer, however, is Muḥammad Iqbāl whose Persian and Urdu poetry abounds with allusions to stories about the falcon, true symbol of the active believer who is not content with small prey but 'hunts God and the angels', that is, has the highest goal in sight. (It may be mentioned in passing that at some point in Pakistan there was a tradition of paintings showing a falcon flying through the sky, and there were even stuffed falcons as souvenirs). Rūmī saw yet another aspect of the falcon: Love, the strongest power

in the universe, can be compared to a falcon that suddenly grasps man and carries him to new horizons, to the infinite world of the spirit.

There are, however, also other interpretations of the falcon's attitude to life and to the world. In an anecdote related by Damīrī, which was written in verse centuries before by 'Attār, the falcon accuses the chicken of being ungrateful. People, he says, look after their chickens well, feed them and care for them, and yet they always run away from people, while he, proud as he is, comes back to his master although he had endured a harsh training and been sent out to hunt. The chicken, however, replies with the simple question: 'Have you ever been to the market where slaughtered chickens are hanging upside down in the shops?'

This brings us to the domestic fowl which, although certainly not a very romantic bird, sometimes inspired writers. The cockerel has even been elevated to being a heavenly creature. According to popular tradition a white cockerel lives in heaven and when he crows everyone, except human beings, knows that the hour of resurrection has come. The role of the cockerel as a living alarm clock is clear from his kunya Abū al-Yaqẓān, for he wakes up sleepers. For this reason he is the enemy of lovers whose sweet sleep is interrupted by his crowing which announces that they have to part. Hence miniature paintings, especially in Mughal manuscripts, show a lover who tries to shoot the cockerel which so cruelly separates him from his

beloved. On a more general note, the Mughal emperor Humayun (ruled AD 1530–56/936–942 H) kept a cockerel in the pantry of his castle to wake his servants in time for morning prayer.

Yet, as with most animals, the cockerel also had a negative side. He was regarded as sensual and immoral, running after each and every hen and prone to debauchery. Early Persian poets therefore composed satirical verses on the immoral rooster whose destiny, sinful as he was, seemed to be that he would soon be killed and eaten.

Connected with rural life is the stork, laqlaq or as it is written in Persian and Turkish lak lak. For the pious Muslim the stork is a pious bird, clad in white like a pilgrim, who constantly repeats the attestation: al-mulk lak al-ḥamd lak al-ʻizz lak 'Thine is the kingdom, Thine is the praise, Thine is the glory'. Thus he proves that he is a true ḥajjī: does he not migrate every year from his native land to Makkah? And does he not usually dwell on minarets (in the west he often nests on church spires). An early Persian anthologist, 'Awfī, mentions in his book Qaṣīdat-i Laklak that:

> The stork always brings Nawrūz good news, The stork makes our grieved hearts happy by this news...

For the bird usually returns some time in March to the northern areas, that is, close to Nawrūz, the vernal equinox. This habit has inspired the saying: 'The

enemy flees from him as the stork flees from the autumnal wind'. In Irbil, northern Iraq, however, folk stories regard the stork as a sensualist: he once was a man who asked his maid to climb up and down the ladder without her knickers while he looked at 'things one is not supposed to look at', laughing and laughing; God transformed him into a stork whose call echoes his mean laughter.

While the nightingale is the bird dear to the Persian poets, the Arabic tradition makes more frequent mention of the dove or pigeon. The wailing sounds of the pigeon reminded early Arabic poets of their own sorrow: the pigeon seemed to translate their lonely weeping into its own language, and the cooing of the pigeon in the morning was a topic dear to the poets wherever Arabic poetry was written. Furthermore, the ring-dove became the bird that personified steadfast love: the black feathery ring around its neck, the ṭawq al-ḥamāmah, was a symbol of the bond of the lover's faithfulness and love – hence Ibn Ḥazm's (d. AD 1064/456 H) fine book on chaste love has the title *Ṭawq al- Ḥamāmah* 'The Dove's Necklace'.

From a practical point of view the pigeon was also the messenger bird, for pigeon post was the best way to send letters to far away places. The message was written on very thin paper that was placed in a minute cylindrical silver container fastened under the bird's wing. From this practice the Muslims derived their use of the pigeon as the bird that would bring their message

of longing to the beloved far away. The cooing of the dove was interpreted by the Persians as kū kū which means in Persian 'Where? Where?' Where is the beloved?

Later, Persian and Indo-Persian writers might even compare the ash-grey pigeons that flutter around a cypress tree to butterflies burnt to ashes by the fire of the candle: (the expression 'candle–cypress' is well known in Persian, as their slim shapes are similar).

Nor should we forget the Persian expression kabūtar-e ḥarām 'the pigeon of the sanctuary in Makkah' as no animal may be killed or wounded in the sacred precincts. There are many pigeons in Makkah, and the lover thinks of his heart, flying like a bird to the sanctuary of his beloved's abode, to remain there just like a pigeon dwelling happily in the Ḥarām in Makkah.

The next bird is the duck: it is mentioned only rarely in mystical poetry as being comparable to the human being, or rather, vice versa. Is not man a strange being like the duck that lives half in water, half on earth? Thus humans are earth-bound materially but can venture into the endless ocean of the spiritual world.

High poetry never mentions the goose, but for the folk-poets this bird again offered a fitting comparison. In the Indian subcontinent it is contrasted with the noble swan, which can fetch pearls from deep waters. The hāns, a term usually translated by 'swan', can also be a great, majestic goose; at least that is true

for the Indian folk tradition where this bird plays an important and positive role. In the Turkish tradition we find the goose in a different form: in the 15th century the dervish Kāygūsuz ʿAbdāl composed a very amusing song in which he tells of his adventures with a very tough goose. He had bought the creature from an old woman (which in poetry is always a symbol of 'the world') and tried to cook it, but the refrain after every verse is:

> I cooked her for forty days, yet still she was not done!

The nafs, the 'lower soul', cannot be overcome even in the arbaʿīn, the chilla, that is, the forty days' seclusion.

The goose is generally considered a lazy, stubborn creature. Another bird, however, is constantly seen as evil and the bringer of bad luck. This is the owl. It lives in ruins, as told in Niẓāmī's beautiful epic poems *Haft Paykar* 'The Seven Pictures' or 'Beauties'. One of his best-known stories tells of a meeting of two owls whose children were going to be married: the father of the bride promised a large number of ruined houses as a dowry, provided that the present king continued to reign, since under his reign the whole country would soon be completely ruined. This scene – so critical of rulers who squander the riches of the land – has been illustrated in many manuscripts of Niẓāmī's poetry. The evil aspects of the owl are also evident from the very title of Sadiq Hedayat's novel *Būf-i Kūr*

'The Blind Owl' which was one of the first internationally recognised novels in modern Iran.

The crow or raven is similarly a bird with negative aspects. Did not a raven help Kabil (Cain) bury his brother Abel, *Sūrah al-Mā'idah* (5), verse 31, thus being connected with death?

> Then Allah sent a raven scratching up the ground, to show him how to hide his brother's naked corpse. He said: Woe unto me! Am I not able to be as this raven and so hide my brother's naked corpse? And he became repentant.

It is a bird that appears in winter-time, especially in the northern parts of the Islamic world, from Turkey to Iran and Central Asia. And when Arabs speak of the crowing of the 'raven of separation' ghurāb al-bayn the Persian poets would be reminded by the raven's appearance of the death of beautiful flowers and the advent of the long, cold winter months. Also, the crow walks proudly around like a preacher, clad in black, who does not like the sweet songs of summer birds and has no interest in beauty. He does not even know how ugly he is, for as Rūmī says:

> If the crow were to see its own ugliness, it would melt as snow!

Yet, contrary to the negative description of the crow or raven in Persian poetry, the kāng in Sind is considered to be a messenger bird, and the very big, dark grey birds that are common in Karachi and elsewhere in the Indus

Valley are addressed, time and again, by girls who long for their beloveds:

> Kāng kornishūn kare ...
> O Crow, bow down politely (before my beloved) ...

Thus sings the heroine in many Sindhi folksongs, and in the masterpiece of Sindhi poetry, Shāh 'Abd al-Laṭīf's Risalo (d. AD 1752/ 1165 H), the heroine invites the crows to devour her body on the way to her beloved: she would like to feed the crows if they would only bring news from her beloved. But they must not eat her eyes, because those eyes had seen the beloved. Such cruel images are frequent in Sindhi literature, but the girls in these poems would also like to wind gold threads around the bird's wings, provided it brings them good news from the longed-for lover.

A bird that has, like the raven, been mentioned in the Qur'ān (though more favourably than the raven) is the hoopoe, the hudhud, surnamed 'father of news' abū al-akhbār. He is the bird who was the messenger between Sulaymān and the Queen of Sheba, hence the messenger-bird par excellence. His beautiful shape and the crown on his head seemed to give him exceptional rank among the birds, and his Arabic name hudhud has even become part of German poetical tradition, as Goethe used it in his West-Östlicher Divan. The hoopoe's exceptional role becomes clear in 'Attār's poem Mantiq al-Ṭayr 'The Pilgrimage of the Birds': the hoopoe meets the assembled birds who want to find a

ruler and it is he who leads them to the King of the Birds, the Sīmurgh, telling them stories to educate them. However, observers without interest in the religious and mystical aspects of the hudhud would point out that it is in fact a dirty, foul-smelling creature that lives on worms, and haughty people who prided themselves on their wealth and beauty with a 'crown' were reminded by the poets that the smelly hudhud with his dirty habits wears a crown, while the useful and beautiful falcon is not decorated in any way.

Another bird that has always attracted interest is the ostrich which is 'neither bird nor beast of burden'. Its Persian and Turkish names point to its strange behaviour: it is called shuturmurgh in Persian and deve kushu in Turkish, both words meaning 'camel bird', for when you ask it to fly it says 'Don't you see, I am a camel', and when you ask it to carry a load like a beast of burden it answers: 'No, don't you see, I am a bird'. Thus the ostrich became the example in later literature of an opportunist who never really wants to do anything useful. Of course, this camel–bird is also surrounded by strange tales: it was known that it would devour almost anything, and it was therefore not difficult to believe that it also swallowed burning coals and, further, that burning coals were in fact his only food.

Few people would call the parrot's voice 'sweet', but in the Persian tradition this bird is always called 'sugar chewing' because it can learn how to speak. It is assumed that the parrot is taught to speak by

looking into a mirror behind which a man is seated, speaking slowly: the bird, seeing itself in the mirror while listening to the man assumes that it is the parrot in the mirror uttering these sounds, and it imitates it. For the Sufis this could be understood as man's state. The parrot imitates his master's voice and thus learns at least some spiritual wisdom: it does not, however, receive direct inspiration and only repeats what it has heard.

The parrot is an Indian bird, and the many stories told about it demonstrate this connection. Jalāl al-Dīn Rūmī's story about the 'Merchant and the Parrot' tells of a merchant who went to India and promised to bring back gifts for all those who lived in his house, including the servants and the animals. His parrot only wanted him to tell its relatives in India about its situation: it, the caged bird, longed for freedom and for the company of its friends. When the merchant relayed the news, one of the wild parrots fell from the branch on which it had been perching and was, it seemed, dead. The merchant hardly dared tell this sad story to his pet parrot, but when the caged bird heard it it too fell down dead. The merchant, saddened by the result of his account, took it out of the cage and – lo and behold- the parrot flew off to the nearest branch teaching its former master that its Indian relative's message was 'to die in order to live'.

Here the parrot becomes a wise teacher; being a wise teacher is very often its role in literature. This may

come from the Indian tradition: Sanskrit stories about a wise parrot were widely known and were retold in Persian by Nakhshabī (d. AD 1350/750 H) in his *Ṭūṭīnāmah* 'Book of the Parrot', which was illustrated from the 15th century onwards. In this and similar stories the parrot appears to be rather misogynous: it prevents its owner's young wife from meeting her lover in her husband's absence, and relays the news about the intended meeting to the husband who kills his wife. In Indian folktales parrots are frequently put in the place of the elderly sour teacher. Yet the parrot can also play the role of a missionary, as we can see in an epic poem that originated in Gujarat in the 15th or 16th century. This is the Ḥujjat al-Hind, in which a pagan princess is introduced to Islam by a wise parrot which teaches her, among other things, the famous Sufi handbook, Najm al-Dīn Dāya's *Mirṣād al-'Ibād*, written in the 13th century, here the bird is less misogynous than in other stories. The relationship of parrots to sweet speech and to the mirror remains a constant figure of speech - so much so, that a 16th century Persian mannerist poet could claim that as when his rosy-cheeked beloved looked in the mirror it became filled with roses, so likewise any parrot that gazed into it would turn into a nightingale.

Another bird connected with India is the peacock. 'He who wants a peacock must undergo the difficulties of a journey to Hindustan', says a proverb. The beautiful bird is ambivalent, however, for

according to tradition he brought Iblis to the Garden of Eden. Iblis, having assumed the shape of a tiny snake, had no difficulty in entering Paradise in the peacock's beak. Thus he played a most negative role in the early days of the world, and yet his beauty is so overwhelming that his feathers were often used as bookmarks in precious copies of the Qur'ān. But the peacock appears not to be proud. Rūmī has a touching story of a peacock who was seen tearing its feathers out because they were the reason for its being persecuted by men. Its beauty was the reason for people's greed and it would rather live as a poor creature, deprived of its ornaments, than suffer because of its outward beauty. And Sa'adī refuses to accept someone's praise by saying:

> In the eyes of men my looks are beautiful
> While I'm thinking of my hidden faults:
> Everyone praises the peacock's lustre and colour,
> While he is ashamed of his ugly feet.

For both the peacock's feet and its voice are proverbial for their ugliness while its plumage is of such exquisite beauty. I remember an old Anatolian peasant who saw a peacock displaying its plumage in the zoo at Ankara and could not stop exclaiming: 'Praise be to God! Praise be to the Creator!', apparently imagining himself in a dream world.

The peacock with all his ravishing beauty is a real bird, loved in particular in India and Pakistan, but

there is another bird that occurs only in mythology. This is the humā, a large creature endowed with magic qualities – whoever comes under the shadow of its wings will become a king. Thus it became the embodiment of spiritual and worldly power, and some writers ascribe this wonderful quality to the fact that the humā lives off bones alone, not hurting any living creature and spending its days in perfect contentment – hence it is able to acquire spiritual power.

In some ways we can compare the humā with the Sīmurgh or in the Arabic tradition with the 'Anqā', the mysterious long-necked bird whose name occurs among other places in the title of one of Ibn al-'Arabī's mystical treatise, *'Anqā' Mughrib.* In the Persian and Persianate tradition the Sīmurgh's role is very prominent: in the national epic of Iran, Firdawsī's (d. AD 1020/ 411 H) *Shāhnāmah* 'The Book of Kings', the Sīmurgh rescues the hero Zāl who was thrown out by his father. The bird took the child and brought him up with its own fledglings. This story still shows the similarity, or rather the equality, of the Sīmurgh and the 'Anqā', for 'Anqā' the long-necked one, is feminine, and Sīmurgh, in its role as caring mother-bird, is the same.

This idea seems to have faded away to a certain extent, however, for as far as I am aware there are no allusions to the Sīmurgh's female character in any of the later tales. Persian legends relate that a feather of the Sīmurgh fell in China and inspired artists in that country to produce masterpieces of painting, China

being the country of painting in Islamic lore. Together with painting, several arts have appeared thanks to Sīmurgh's wondrous feather, and 'Attār claims that this is what is intended by the ḥadīth 'Seek knowledge even in China'. The Sīmurgh's feather is the basis of all artistic activity. In 'Attār's work, then, the Sīmurgh assumes its most important role: it serves as the symbol for the Divine Being whom the 30 birds meet at the end of their long, difficult journey. They, all 30 of them, that is sī murgh, discover their identity with the Sīmurgh: individual souls discover their identity with the Divine.

Finally, there is another winged creature, which actually should have its place among the mammals. That is the bat, khuffāsh. It usually had a bad name among people as it seemed to be neither bird nor mammal; it had wings and yet produced living young, not eggs; it appeared only after sunset, apparently shying away from the sun. Thus the poor bat turned into a much hated, or at least feared, creature. Although its description in the *Nahj al-Balāghah* is rather positive, tales recounted by the satirical author al-Wahrānī (d. AD 1179/575 H) in one of his manāmāt give a most disgusting impression of the poor creature which, as the King of Animals allegedly orders in a fatwā, should be killed by all means.

In most traditions the bat is a creature of darkness, and yet some Persian writers have equated it

with the bird which Jesus created according to *Sūrah Āll-'Imrān* (3), verse 49.

> And will make him a messenger unto the Children of Israel, (saying): Lo! I come unto you with a sign from your Lord. Lo! I fashion for you out of clay the likeness of a bird, and I breathe into it and it is a bird, by Allah's leave. I heal him who was born blind, and the leper, and I raise the dead, by Allah's leave. And I announce unto you what ye eat and what ye store up in your houses. Lo! Herein verily is a portent for you, if ye are to be believers.

Was not the bat rather a 'likeness' of a bird than a real bird? This is what some Persian writers say of the bat. Although writers dwelt on the bat's aversion from the sun, 'Attār saw in the lowly creature a seeker for the real sun, that is for the spiritual sun which is hidden to those who live in bright daylight. The bat, 'Attār thought, seeks the sun at midnight, the illumination which is found in the world of the spirit, and thus even the bat becomes, in the works of some writers, a lonely seeker for truth and illumination.

What about the quadrupeds, the beasts of burden and the fierce lions, the swift horses and the mighty elephants? Some of them are mentioned in *Sūrah al-Takwīr* (81), verse 5, 'And when the wild beasts are herded together'. Just like the other animals they play an important role in human life and in poetic

interpretation. It is said that the Prophet has urged Muslims to love cats and take good care of them. Even though this may not be an authentic ḥadīth it expresses the Muslims' love for the cat. For as Damīrī says, 'The cat is a modest, tender-hearted animal', and more than that, it is a pure creature. The cat's saliva does not cause impurity, so that water from which a cat drinks may still be used for ablution. The observation that cats carefully bury their excrement made this animal an example for humans who should likewise strive to cover their evil actions and thoughts. One of the most widespread legends from the early days of Islam tells the story that the Prophet did not want to disturb his cat Muʿizza which was sleeping on the sleeve of his coat, so instead of waking the cat when he got up for prayer he cut off the sleeve instead. This story is found even in European story-books about Islam – books in which the Prophet is rarely shown in a favourable light. Likewise, German literature knows that the Prophet used to stroke his cat, and Goethe in his West-Östlicher Divan wrote of the animals that were admitted to Paradise, among which was the kitten, for 'It is a blessed animal that the Prophet stroked' (Denn immer ist's ein heilig' Tier, das der Prophet gestreichelt.)

Another folk tradition about the cat's important role in the Prophet's life is told by the great Sufi Jalāl al-Dīn Rūmī. One day a snake came to ask the Prophet for some food and wound itself around his waist, intent on biting him. At this moment Abū Hurayra passed by,

opened his bag (which contained some of his cats) and a brave cat jumped out, flinging itself at the Prophet and killing the snake. Gratefully, the Prophet caressed her forehead, hence every cat has four stripes on the forehead which are the signs of the Prophet's blessed fingers – and he stroked her back, so a cat never falls on its back since this part of his body was touched by the Prophet.

One of the most touching cat stories in early Arabic history relates the tale of the Sufi from Baghdad, Abū Bakr al-Shiblī (d. AD 945/ 334 H), who died and was seen by one of his friends in a dream. On being asked what God had done to him he said that he had been granted admission to Paradise but was asked by the Lord if he knew the reason for this blessing. Shiblī enumerated all his religious duties - fasting and praying, performing the pilgrimage and giving alms – but none of these acts of piety had saved him. Finally, the Lord asked him: "Do you remember the cold day in Baghdad when it was snowing and you were walking in your coat when you saw a tiny kitten on a wall, shivering with cold, and you took it and put it under your warm coat? For the sake of this kitten We have forgiven you."

Less well known, but well attested, is the fact that the Moroccan Order of the Heddawa has sacred cats which are considered as siblings to the faqirs, the mendicants, and are treated very considerately, as René Brunel has shown in his important study on the Heddawa.

More people will know the ancient stories about 'the cat and the mouse'. This model is the story of the war between cats and mice which was already known in ancient Egypt and is found in almost every oriental (and then every western) language. In the east, 'Ubaid-e Zakānī's 15th century poem Mush u Gurba 'Cat and Mouse' is the most famous Persian example. The story of the cunning cat which deceived the mice, and the brave mice which gathered to defend themselves is widely known – and sometimes the mice are victorious! Yet the relationship between the two animals has become proverbial, and the cat which enticed the weak mice is often described in literature as a sly hypocrite. As the Punjabi proverb puts it: 'After the cat had eaten seven mice she went for ḥajj', or 'She went for ḥajj while the mouse's tail was still hanging out of her mouth'.

But we should not forget the story of the man with a cat who came to a country where mice were plentiful and cats had never been seen. By selling his cat to the ruler the man became rich and the country was freed from the mice; this story is also known in England.

Although the cat is not mentioned in the Qur'ān and, despite this, it is an animal much loved animal by Muslims, the opposite holds for the dog. *Sūrah al-Kahf* (18), verse 18 mentions the faithful dog of the Seven Sleepers which stretched its paws on the threshold.

> And thou wouldst have deemed them waking though they were asleep, and We caused them to turn over to the right and the left, and their dog stretching out his paws on the threshold. If thou hadst observed them closely thou hadst assuredly turned away from them in flight, and hadst been filled with awe of them.

This dog found its way into Goethe's Divan as well:

> Das Hündlein, das den Siebenschlaf so treulich mitgeschlafen …

The little dog that faithfully participated in the sleep of the Aṣḥāb al-kahf belongs to those animals that are admitted to Paradise. Folk tradition calls this dog Qiṭmīr, and in Central Asia it was customary to write this name on letters or parcels of special value, as though the dog would protect them.

Yet according to the Sharīʿah dogs are unclean, and everything touched by their saliva becomes unclean. They had to stay outside the house, and to this day, one finds in Muslim countries that guests can be horrified if they find a dog in their host's house. After all, angels do not enter a house where there is a black dog or a picture!

Although the dog is despised for being ritually unclean, for the Sufis it became a model – it is the most faithful animal, never leaving its master. Sufi stories, especially the works of ʿAṭṭār, abound with tales of a dog turning into a teacher for someone plagued by

pride: the lowly creature taught him the virtues of perseverance, humility and fidelity - spending nights awake guarding its owner's home. This topic permeates literature from early times onwards, and as early as the 9th century Muḥammad ibn Khalaf al-Marzubān (d. AD 921/309 H) composed his treatise that '*dogs are better than many of those who wear dresses*'. This love of dogs, which is particularly prevalent in Persian literature, may stem from the ancient Persians' love of the dog, for in Zoroastrianism dogs were among the sacred animals, and it may be that an undercurrent of this ancient idea reached the Muslim writers of Iran.

The attachment of the dog to his master made the animal a favourite model for the lover who does everything the beloved wants: thus dogs are part and parcel of Persian love lyrics. The Divān of 'Abd al-Raḥmān Jāmī of Herat (d. AD 1495/900 H) 'contains more than 300 dogs' – that is, mentions the dog-like faithful lover, as was discerned by an admirer of both Jāmī's poetry and of dogs in general.

The fidelity of the lowly dog is also expressed in names like Sag-i 'Alī "Alī's dog' among the Shī'a, not forgetting the expression sag-i Layla 'Layla's dog' for a person one does not really like but has to bear the company of because he is a friend or relative of one's beloved. There is a story that Majnūn was seen kissing a dog's paw and when asked the reason for this seemingly meaningless act answered 'This dog has been down Layla's street'.

Thus even the poorest creature can attain a high rank, and as despised as the dog may be, he should not be treated badly. One of the most famous stories among the pious tells of a woman of very bad reputation. The Prophet saw her when she met a thirsty dog in the desert that was trying in vain to reach a nearby well. She took off her scarf and her shoes, made a bucket out of them and fetched some water in the shoe to give it to the panting dog. It is said that this woman was later seen by the Prophet among the people in Paradise: her kind act to a thirsty animal had saved her.

What about the mouse, already mentioned in connection with the cat? She is greedy and for the Sufis a symbol of the nafs, the lower soul. She usually appears in stories as the embodiment of people who are fond of hoarding their wealth, or sons who dream of their stingy fathers being transformed into mice after their death. The mouse, as a nafs animal, can symbolise the earth-bound, materialistic aspects of man, as in the amusing story told by Rūmī. A mouse fell in love with a frog and finally persuaded him to tie a thread to his leg and bind it to her foot so that they might be inseparable. But alas, a bustard caught the mouse and the frog, being tied to her, perished with her: thus the spirit will perish when it depends on the body or on the lowly instincts. But what about the most famous animal in the Arab world, the noble horse? The exaggerated love of horses was frowned upon in *Sūrah Ṣād* (38), verse 31, where it is said that Sulaymān, busy with his noble steed,

neglected his prayers and then, full of remorse, slew the animal, 'when there were shown to him at eventide light-footed coursers'. A ḥadīth, on the other hand, urges the believer to look after his horse well.

The horse was created from the swift southern wind, so legends say, and it would take book after book to enumerate the glowing descriptions of horses in Arabic poetry – descriptions that are difficult to translate for a modern westerner who does not appreciate the fine differences of colour and shape that were commonplace in traditional Arabic poetry.

There is however one tradition – mainly in Persian and Persianate literature – that deserves our attention. This is the description of or allusion to the weak or restive horse, which becomes in Sufi tradition another symbol of the nafs, the lower soul. Medieval Persian poets sometimes complained that the prince or sultan gave them shabby old horses, and they would most wittily describe such strange creatures which they claimed must have been the mount of Adam, stayed in the Pharoah's stable, served the ancient kings of Iran and the whole family of the present dynasty. But much more important are the repeated allusions to the restive horse. Persian miniature paintings sometimes show an extremely lean, starved horse and groom, and the poets might describe a process in which a restive horse could be educated by hunger and hard work – in the same way the soul incited to evil can be turned into the 'soul at peace', the nafs muṭma'innah. By hard training and an

ascetic life, by hunger and sleep deprivation, the horse's soul can be 'broken' and it can be turned into a wonderful swift steed that will bring the seeker as fast as possible into the presence of the beloved. It is worth mentioning that even the Aga Khan Muhammad Shah III issued a firmān in 1899 in which he compared the soul with a horse that ought to be trained in order to bring its rider to the hoped-for goal.

The horse is glorified in its spiritual form, that is, as Buraq, the winged creature that carried the Prophet into the presence of God. It is amazing to see the immense role Buraq plays in poetry and folk art. This wondrous creature is depicted with a woman's face and wings and adorned with all kinds of jewels, and he who has seen the paintings of Buraq on the back of Pakistani trucks will have the feeling that the painters used their limitless imagination to adorn this mysterious creature with everything that was precious and beautiful. Buraq is used as a talisman and appears in West Africa as well as in India and Indonesia, as though the artists see in it a wonderful spiritual being blessed with carrying the Prophet towards heaven which might perhaps help them too to approach the realm of the spirit or the abode of felicity.

As fortunate as the horse and the wondrous Buraq are, their relative, the donkey, is one of the most despised creatures, despite his patience. Is not his voice the ugliest voice, as is asserted in the Qur'ān (*Sūrah Luqmān* (31), verse 19), 'Be modest in thy bearing and

subdue thy voice. Lo! the harshest of all voices is the voice of an ass'? And the poor creature does not know what he is doing – there are many people who are stupid and do not know what they are doing. 'The likeness of those who are entrusted with the Law of Moses, yet apply it not, is as the likeness of the ass carrying books' (*Sūrah al-Jumu'ah* (62), verse 5). The stupid who do not listen to admonition are like the startled donkey fleeing from a lion: as *Sūrah al-Muddaththir* (74) verse 50–51 says, they do not understand what is going on 'as they were frightened asses fleeing from a lion?'. Similarly, in Europe the donkey has become a model of stupidity and 'to have eaten donkey's brains' means to be utterly stupid. In this connection one allusion to donkeys is quite important: the connection between Jesus and the donkey. Since Jesus entered Jerusalem on a donkey it was easy to see them as typical representatives of spirit and body: the contrast between Jesus, the spiritual being, and the stupid, matter-bound donkey was one of the favourite topics of Persian poets, who sometimes went rather far when expressing the truth that a completely materialistic person can never reach spiritual heights. As Rūmī says:

> He who kisses the ass's ass is far from the cradle of Jesus!

It is impossible to mention even a fraction of the accounts of the role of the horse in Arabic poetry, and the same is true for the camel, an animal that plays an important role in Arab society not only in reality but

also in the Qur'ān. 'Will they not regard the camels, how they are created?' asks the Qur'ān (*Sūrah al-Ghāshiyah* (88), verse 17), and the she-camel of the prophet Ṣāliḥ is mentioned several times in the Qur'ān. These verses inspired impressive pictures in later Islamic art.

> And to (the tribe of) Thamūd (We sent) their brother Ṣāliḥ. He said: O my people! Serve Allah. Ye have no other God save Him. A wonder from your Lord hath come unto you. Lo! this is the camel of Allah, a token unto you; so let her feed in Allah's earth, and touch her not with hurt lest painful torment seize you. (*Sūrah al-A'rāf* (7), verse 73).

> O my people! This is the camel of Allah, a token unto you, so suffer her in feed in Allah's earth, and touch her not with harm lest a near torment seize you. (*Sūrah Hūd* (11), verse 64).

Camels were the precious possession of the Bedouin, and thus the Bedouin who asked the Prophet: 'Oh Messenger of God, will there be camels in Paradise?' was consoled by the Prophet who told him that everything one longs for would be there. But the Prophet not only consoled the worried Bedouin but also advised one of his countrymen who asked about trust in God: 'First tie up your camel and then trust in God'. One has to be careful even though one knows that everything is in God's hands. Camels, with all their

good qualities of burden-bearing and untiring walking have one peculiarity that is little known outside the Arabian tradition: they love music and can be spurred to incredible speed when the *ḥādī*, the camel driver, has a beautiful voice. Abū Naṣr al-Sarrāj (d. AD 980/370 H) tells of a Bedouin whose 99 camels all collapsed after they had reached home with heavy loads, because the driver's song had spurred them to such an extent that they reached their destination in half the usual time.

In Persian poetry lovers can be compared to camels which carry their burdens happily and hurry when the driver sings or plays the flute; they are camels, following the lead of the beloved in a dancing rhythm. As usual, Jalāl al-Dīn Rūmī was most inventive in his use of camel imagery: just as the tall camel is visible even at the top of the minaret, so the lover is conspicuous and cannot hide his love, and Rūmī sees love itself as a proud camel which does not fit into a chicken den. The body is the chicken den and the big camel destroys everything once it enters this small place.

Folk tradition tells of competition between the camel and the cow, both of which boast of having served God and the prophets from very early times. The cow mentioned in the Qur'ān as giving 'pure milk' (*Sūrah al-Nahl* (16), verse 66):

> And lo! in the cattle there is a lesson for you. We give you to drink of that which is in their bellies,

> from betwixt the refuse and the blood pure milk palatable to the drinkers.

It also occupies a special place as *Sūrah al-Baqarah* (2), the Sūrah of the Cow is named after it. The Indo-Muslim historian Badaunī, who relates events at Emperor Akbar's court, tells us that at one of the meetings which Akbar arranged between Muslim scholars and Hindus, one of the Hindu officers remarked that God must have loved cows very much as He even called the longest chapter of the Holy Writ after them – a remark that caused much amusement among the Muslim scholars. And the Hindu was happy in his opinion that the cow, sacred to him, was also very blessed in the Qur'ān.

Apart from this, the cow occurs rather rarely in literature, although she is mentioned favourably as the producer of milk and butter. But let us not forget Rūmī's wise remark about education:

> You beat the cow when she refuses to carry the yoke,
> But do not beat her because she does not sprout wings.

Nobody can be forced to do things of which he is innately incapable. And to use the cow as a beast to be ridden was equally wrong, as an old Sufi tale relates. When a person was riding a cow the beast was heard sighing 'I was not created for this'.

The sheep, also sometimes mentioned as a producer of milk, is mainly the archetypal sacrificial animal, the soft-hearted creature from whose wool people can make carpets and other useful things, while its meat is preferred for sacrifice.

On the other hand, the goat too can give some milk, but it excels mainly on account of its looks. The billy goat's beard is often a point of comparison. As Rūmī says, tongue in cheek:

> A man is not qualified to become a judge by sporting a long
> beard – otherwise the billy goat would be a first-class jurist!

Among domestic animals – domestic at least in the non-Muslim areas but kept well away in Muslim lands – is the pig, about which it is said that on Doomsday sinners will be transformed into pigs. 'Attār took up this saying to show how a disciple who left his master and indulged in all kinds of worldly vices was seen transformed into a pig that was following its former master in the street.

All domestic animals, however, are more or less threatened by wild animals. There is the jackal, hero of the old tales of *Kalīlah wa Dimnah*, the two cunning jackals whose stories spread throughout the world. They often appear as foxes, and many stories are taken from one tradition into another. Perhaps the most famous story is that of the jackal or fox who coveted power and went to a dyer to become another colour. As

he emerged from the dyer's vat he was a radiant blue and presented himself to the other jackals (or foxes) as a wondrous ruler whom everyone had to obey. But the animals soon discovered his lies and threw him out. The Sindhi version of this fable tells how he climbed onto some branches of a thorny tree close to a watering place and requested each animal to pay him homage before it drank. While all the other animals sang his praises an aged goat refused and told the truth about him, so that, deeply disappointed, he gave up his pretensions.

Another dangerous animal, this time sanctioned by the Qur'ān, is the wolf that was supposed to have devoured Yusuf but was in reality innocent,

> Saying: O our father! We went racing one with another, and left Joseph by our things, and the wolf devoured him, and thou believest not our saying even when we speak the truth. (*Sūrah Yūsuf*, (12), verse 17).

Although in this Sūrah the brothers of Yusuf appear to be more cruel than the wolf, the animal always remained the embodiment of cruelty, and furthermore the wolf can never be trained. Ethical literature contains many stories about the wolf's behaviour. As a Persian verse exclaims in agreement with numerous others:

> You grew up in our house and yet you ate our lamb –
> Who told you that your father was a wolf?

But even the wolf acknowledged the message of the Prophet, as is seen in early legends in books such as the *Dalā'il al-Nubuwwah.*

Of course the most powerful enemy is the lion, the king of beasts, for which traditionally there are a hundred different names. Everyone knows al-Mutanabbī's line:

> And when the lion shows his teeth
> Do not think that the lion smiles!

Yet those who fear God need not fear lions, as becomes clear from many lovely stories. Tame lions would live close to the homes of the friends of God who were even able to ride on them, and there is a beautiful story that a lion approached a pious Sufi and showed him that she had a thorn in her paw. The Sufi removed the thorn and the grateful lion returned later with her cubs to bring her human friend something to eat. Rūmī sees love as a black lion which injures or carries away the lover, and the radiant beauty and strength of a lion is compared to the radiance of true faith: the animal, apparently too dangerous and difficult to approach, becomes soft and loving once a true believer approaches him. The importance of lions as models of strength becomes clear from the use of their names for men and, as we mentioned earlier, 'Alī ibn Abī Ṭālib has a number of surnames that describe him as 'God's lion'. That is why Muslim and particularly Shī'ite artists like to write invocations to 'Alī in the shape of a lion: many such

calligraphic lions contain the Shī'a invocation Nādī 'Alīyyan muẓhir al-'ajā'ib – 'Call 'Alī, who manifests wondrous things'. But there are also anecdotes in which lions appear, such as this example from North Africa. A conceited Sufi shaykh rode on his lion to visit another shaykh somewhere in the Atlas Mountains. When he arrived he was asked to tether his lion in the cow's stable. He was dismayed, and became even more dismayed and upset when he found that his host was having a good time in the company of pretty girls and singers. He doubted the spiritual rank of the master, and when he left the house the next morning he found that the cow had eaten his lion.

Very frequently the lion is shown – as in reality – to be the enemy of the gazelle. The shy, swift animal has always represented the beloved woman, elegant and large-eyed, as we can see from the names Arabs gave their daughters. The gazelle could also represent the spiritual creature that grazes in meadows filled with fragrant flowers and does not mix with ordinary animals. Rūmī describes the suffering of a tender gazelle who was captured and put in a donkey's stable where she was disliked for her elegant looks and her inability to eat the coarse fodder: the donkeys ridiculed her and spoke indecently. Again, this is representative of the soul, imprisoned among materialistic people who are ignorant of the world beyond this one. Among the numerous legends about this animal is the lovely story of the Prophet rescuing a gazelle. As he was out

walking the Prophet saw that a gazelle had fallen into a trap. He talked to her, and she told him that her two kids were waiting for her to feed them, but how could she reach them? The Prophet helped her out of the trap and promised to wait in her place until she had performed her motherly duties. While he was standing there the hunter arrived, deeply disappointed to see that his prey had gone and that a man (he did not know it was the Prophet) had taken her place. Then the gazelle came back, accompanied by her kids, and the hunter, touched by this sight, repented and not only let the gazelle go but embraced Islam. This story was so much loved that in the Sindhi language alone there are thirteen long poems dealing with this topic.

Let us not forget another remarkable story, this time of the gazelle's relative, the Central Asian musk deer. One came to Adam once to console him after his fall from Paradise, and he stroked it lovingly, which caused the beautiful fragrance of musk to develop. The other deer wondered what had happened to their relative, and after learning how it had acquired this fine fragrance they too went to visit Adam, but to no avail. They were told that the first deer came out of love and affection but they had only imitated it; imitation does not bear fruit.

The last major animal in the 'spiritual zoo' is the elephant, mentioned in *Sūrah al-Fīl* (105). Historically, the elephant was well known in the Middle East; for it was, for instance, used in war in Persian lands, such as

in the siege of Makkah by Abraham in the Year of the Elephant. It therefore appears in the first place as extremely dangerous, a dark monster which can destroy everything. Persian poets would compare rising dark clouds to elephants. It seems that elephants were brought from time to time to Muslim lands (probably more from Africa than from India), and it is well known from European history that the Abbasid caliph Ḥarūn al-Rashīd (ruled AD 786–809/170–193 H) sent an elephant to the German Emperor Charlemagne in Aix-les-Bains (Aachen) the German chronicle reveals that the elephant's name was Ja'far.

Elephants were also brought from India, and it was an Indian beast that was the subject of one of the most famous stories in Islamic literature – that of blind people and the elephant. It is originally an Indian story that was adopted by the Persian poet Sana'i in his *Ḥadīqat al-Ḥaqīqat*, from which it was taken by Rūmī and incorporated into his *Mathnawi*. It has been quoted in oriental sources ever since and became known in Europe as well, so much so that a statue of an elephant with blind people is found in a park in Bonn! The story tells of blind people who wanted to know what an elephant looked like, but as they could not see him they touched him. Nobody of course could touch the whole elephant, and thus everyone described the part his hand had touched: he is like a rock when you touch his body; like a fan when you touch his ears; like a hose when you touch his trunk; like a pillar when you touch his leg, and

so on, but nobody could imagine what the complete animal looked like. This is a perfect example of man's incapacity to understand God's nature fully: each of us can speak only of the fragment that our spiritual hands have touched, and so everyone's ideas about God are different as we strive to comprehend him.

There is yet another aspect to the elephant. Elephants were often important in other countries as beasts of burden and Persian poets invented a beautiful image, 'the elephant's dream'. The elephant dreams of his native country, India, remembering his home, his family and his friends, and in a wild frenzy he shakes off his fetters and runs to India to be reunited with those whom he loves. Rudyard Kipling has expressed this story in a beautiful poem 'The Elephant's Dream'. When the Persian saying 'the elephant dreamt of Hindustan' is used it means that someone is suddenly reminded of his lost home, of forgotten happiness. The expression seems to appear in Persian around the year AD 1100/493 H and remained very popular during in subsequent centuries. Again we see the allusion to the transcendent homeland of the soul which is so easily forgotten in the materialistic world, just as the falcon may forget his master and the peacock his native garden. The elephant is one of the beautiful representatives of the soul that wake up from heedless sleep to return to its eternal home.

According to oriental lore the elephant can be injured and even killed by the rhinoceros and the

unicorn. Persian stone reliefs and ceramics from the 12th and 13th centuries show unicorns carrying elephants on their horns, and Rūmī, writing contemporaneously with these works of art, compares love to a unicorn that carries away even the strongest elephant. The unicorn, as it appears in the Christian tradition, has inspired, as far as I know, only one important Arabic poem 'Questions to be Put to the Unicorn' by Tawfīq Ṣa'igh.

Animals form an important part of Islamic tradition: they are mentioned in the Qur'ān far more frequently than they are in the Bible, and all of them can serve as symbols for a spiritual truth and as warnings or admonitions for those who understand. We learn from the stories told about them in the course of history that, as is also known from the Old Testament, at the end the lion and the lamb will lie down together and there will be no enmity between them.

According to pious legend some animals follow the prescriptions of the Sharī'ah: there are moving legends of ants or birds keeping the fast in Ramaḍān or on 'Āshūrā' day, and it is said that the animals greet each other with the word salām on Fridays.

It seems useful to remember this role of the animals at a time when we sometimes forget our human role. We may go back to the tales of the animals, of their love and their courage and take some inspiration from the way the scholars and poets of yore used animal

tales to point out that everyone is under the loving care of the Creator. As is stated in *Sūrah Hūd* (11), verse 6:

> No creature is there crawling on the earth but its provision rests with God. He knows its lodging place and its repository. All is in a manifest book.